مكتبتنا العربية

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب
العنوان
ادارة الجامع الازهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعية
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

الاشتراك السنوي
٥٠ في مصر والسودان
٣٠ للطلبة في مصر والسودان
٦٠ في الخارج
٤٠ للطلبة في الخارج
ثمن الجزء ٥

الجزء الرابع - القاهرة في غرة ربيع الآخر ١٣٧٣ - ٨ ديسمبر ١٩٥٣ - المجلد الخامس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

صور لطلاب العلم :

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

يتيم من مصر العتيقة

... وكان الطفل يوم مات عنه أبوه في رجب ٧٧٧ هـ لم يكمل السنة الرابعة من عمره ، وكانت مصر العتيقة - التي ولد فيها الطفل ونشأ بين بيوتها - كأنها الشمس بعد غروبها ، لأن العبيديين جنوا على الفسطاط - في أول عهدهم - بانصرافهم عنه إلى القاهرة سنة ٣٥٨ ليسدلوا سجف الإهمال والنسيان على البقعة التي حمل إليها أصحاب رسول الله ﷺ نور الهدى ودين الحق فسطعت أشعته وانتشرت من وادي النيل إلى إفريقية فجبال الأطلس حتى استنارت بها لجج بحر الظلمات . واجتاز قبس منها مضيق الزقاق إلى أوربا ، فتبلج في آفاق الأندلس أبهج أضوائها . ولولا خدعة من خدع الأراجيف صدرت عن جواسيس شارل مارتل لجازت على الأبطال المجاهدين تحت ألوية عبد الرحمن الغافقي لكانت العربية لغة فرنسا وأوربا الآن ، ولكان نظام الإسلام العادل الرحيم هو نظام الأوربيين والأمريكيين جميعاً . كل ذلك بفضل أشعة النور الأولى التي انتشرت من هذا الفسطاط الأعظم الذي تحول عنه العبيديون إلى القاهرة في عهدهم الأول ، ثم ختموا في عهدهم الأخير جنايتهم على هذه البقعة المباركة بإحراقها سنة ٦٦٤ ، فاستمرت ألسنة الحريق تلتهم من عمرانها

مكتبتنا العربية

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب
العنوان
ادارة الجامع الازهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعية
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

الاشتراك السنوي
٥٠ في مصر والسودان
٣٠ للطلبة في مصر والسودان
٦٠ في الخارج
٤٠ للطلبة في الخارج
ثمن الجزء ٥

الجزء الرابع - القاهرة في غرة ربيع الآخر ١٣٧٣ - ٨ ديسمبر ١٩٥٣ - المجلد الخامس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

صور لطلاب العلم :

يتيم من مصر العتيقة

... وكان الطفل يوم مات عنه أبوه في رجب ٧٧٧ هـ لم يكمل السنة الرابعة من عمره ، وكانت مصر العتيقة - التي ولد فيها الطفل ونشأ بين بيوتها - كأنها الشمس بعد غروبها ، لأن العبيديين جنوا على الفسطاط - في أول عهدهم - بانصرافهم عنه إلى القاهرة سنة ٣٥٨ ليسدلوا سجف الإهمال والنسيان على البقعة التي حمل إليها أصحاب رسول الله ﷺ نور الهدى ودين الحق فسطعت أشعته وانتشرت من وادي النيل إلى إفريقية فجبال الأطلس حتى استنارت بها لجج بحر الظلمات . واجتاز قبس منها مضيق الزقاق إلى أوربا ، فتبلج في آفاق الأندلس أبهج أضوائها . ولولا خدعة من خدع الأراجيف صدرت عن جواسيس شارل مارتل لجازت على الأبطال المجاهدين تحت ألوية عبد الرحمن الغافقي لكانت العربية لغة فرنسا وأوربا الآن ، ولكان نظام الإسلام العادل الرحيم هو نظام الأوربيين والأمريكيين جميعاً . كل ذلك بفضل أشعة النور الأولى التي انتشرت من هذا الفسطاط الأعظم الذي تحول عنه العبيديون إلى القاهرة في عهدهم الأول ، ثم ختموا في عهدهم الأخير جنايتهم على هذه البقعة المباركة بإحراقها سنة ٦٦٤ ، فاستمرت ألسنة الحريق تلتهم من عمرانها

مكتبتنا العربية

ومن معالم الإسلام فيها مدة أربعة وخمسين يوما بلياليها ، إلى أن ذهبت النيران بما لا يمكن أن تتصوره العقول من مساجد ومدارس ومؤلفات قديمة نفيسة فى علوم الشريعة والعربية والأدب والتاريخ والتراجم وسائر فنون العرب والإسلام مما لا متسع للتحدث عنه فى هذا المقال . ومن بعد هذا الحريق الرهيب تسربلت أطلال الفسطاط بسرابيل الكآبة والحزن ، ثم أفاقت من غشيتها بعد عشرات السنين ، فأخذت تسترجع وعيها ، وتقيم على ذكريات العزة والمجد منازل متواضعة حول أول مسجد أقيم للإسلام تحت سماء مصر ، فعاد العمران الحزين يطل بأعناقه مرة أخرى فيما بين النيل وتلول عين الصيرة ممتداً نحو الشمال ، حتى إذا انطوى بعد هذه الفاجعة قرن آخر من تاريخ الإسلام فى مصر صارت عروس « الفسطاط » الأولى تعرف عند الناس فى شيخوختها باسم « مصر العتيقة » ، وفيها ولد هذا اليتيم الذى أحببت أن أتحدث عنه إلى طلاب العلم فى موسم افتتاح الدراسة هذا العام ، لتكون لهم فى سيرته أسوة ، وليكون لهم من الطريق الذى سلكه إلى أهدافه طريق يسلكه خيارهم ونجباؤهم إلى أهدافهم ، بل لتكون لهم من حياته صورة مشرقة تحبب إلى كل ذى نفس غالية عليه من طلبة هذا العام أن يحاول بعزيمة صادقة ونفس راضية السير فى طريق « يتيم مصر العتيقة » . ولا أذيع سراً إذا قلت لهم إن هذا اليتيم كان يدعى : أحمد ابن حجر العسقلانى (٧٧٣ — ٨٥٢) .

قلت فى صدر هذا المقال إن أحمد فقد جناح رحمة الأبوة ، فغدا يتيما من سنة ٧٧٧ ولما يكمل السنة الرابعة من عمره . فلما مر على موت أبيه الحول الأول حضر إلى بيته وصيه الشيخ زكى الدين الخروبى فأخذ بيده وذهب به إلى الكتاب ليتعلم القراءة والكتابة ويحفظ كتاب الله . وكان الشيخ زكى الدين يتعهده - مع الزمن - بجميل الوصايا ، ومنها أن يحب العلم لله ليحبه الله ، وأن يكون صادق العزيمة فى حفظ كتاب الله الحكيم ، وقد حدثه بما لذلك من عظيم المثوبة عند الله فى الدنيا والآخرة ، ولا سيما إذا أخلص نيته فى ذلك لله عز وجل . وقد نصح له بأن يوجه مداركه كلها إلى ما تصل إليه يده من زاد الحكمة ونعمة العلم ليكون عما قريب رجلا وجيها عند الله وعند الناس . وما كاد أحمد يتقن القراءة والكتابة وتتفتح مواهبه للحق والخير حتى عاهد ربه على كل ما كان ينصح له به وصيه الشيخ زكى الدين الخروبى . وروى المؤرخون الذين زينوا كتبهم بباقات عطرة من زهور سيرته أنه حفظ سورة مريم — وهى ثمان وتسعون آية — فى يوم واحد . ولما بلغ التاسعة من عمره

مكتبتنا العربية

(سنة ٧٨١) كان قد أتم حفظ كتاب الله وبعض متون الشريعة وقواعد العربية وغيرها ومنها العمدة فى أحاديث الأحكام للحافظ عبد الغنى المقدسى ، والحاوى الصغير فى فقه الشافعية للنجم القزوينى ، ومختصر ابن الحاجب فى أصول الفقه ، وملحة الإعراب للحريرى منشىء المقامات ، وغير ذلك . وفى أواخر سنة ٧٨٤ بدا له أن يقصد بيت الله الحرام ليحج فى موسم الحج وليلبث بعده مجاوراً فى مكة فيتلقى العلم عن علمائها . وبالفعل استمر فى مكة سنة ٧٨٥ وبعض سنة ٧٨٦ وشرع فى تلقى الحديث النبوى فسمع صحيح الإمام البخارى من عفيف الدين عبد الله بن محمد النشاورى (٧٠٥ — ٧٩٠) وأخذ عن عالم الحجاز محمد بن عبد الله ابن ظهيرة المخزومى (٧٥٠ — ٨١٧) ، وأدى فى مكة امتحاناً عملياً فى حفظ كتاب الله فصلى به التراويح من أوله إلى آخره ليالى شهر رمضان سنة ٧٨٥ تجاه الكعبة المشرفة . وعاد فى سنة ٧٨٦ إلى مصر ليواصل طلب العلم على شيوخها بالهمة العالية التى وطن عليها نفسه وظهرت للناس آثارها حتى ذلك الحين ولما يبلغ الحلم .

وها هو ذا الآن فى بيته بمصر العتيقة ، وقد بلغ الرابعة عشرة من عمره . لقد وجد نفسه واقفا على مفترق الطرق يسترجع بذاكرته ما مر عليه فى الحجاز ، وما تلقاه عن علمائها من معارف لم يكن له عهد بها ، وما اكتسبه قبل ذلك من أشياخ طفولته وصباه ، وما كان ينصح له به محوه من نصائح بدا له صدقها وعظيم نفعها فى تجارب سنواته القليلة التى تذوق فيها حلاوة العلم ، وتمتع فى خلالها بمراقبة أخلاق العلماء المنقطعين للعلم والذين يبتغون به وجه الله وحده .

إن قليلا من التفكير السليم فى مثل هذه السن الطاهرة التى بلغها أحمد بن حجر ، سيهديه — بلا شك — إلى طريق السلامة والعافية والسعادة ، ليكون إن شاء الله من أهل الخلود .

لقد عول فتانا على أن تكون مهمته فى الحياة الإلمام بتركة الإسلام التى توارثتها ثمانية قرون مضت ، فرسم خطته للاتصال بكل من أظلتهم سماء مصر من العلماء والأدباء والإخصائيين ، ليأخذ عنهم خير ما عندهم ، وليروى عنهم كل ما تفردوا بإتقانه من علومهم وما ورثوه عن شيوخهم من أمهات كتب الشريعة واللغة والأدب والتاريخ . حتى إذا استوفى ذلك وأتى منه على أقصى ما تستريح إليه نفسه ، فإنه سيقوم بعد ذلك برحلات علمية إلى الأقطار الإسلامية ليستكمل ما عند أئمتها وأعلامها . لذلك رأيناه بعد أوبته

مكتبتنا العربية

من الحجاز يغشى أبواب المدارس المصرية التى اشتهرت بنضوج علمائها ونشاط تلاميذها ، ويتنقل بين حلقات الدروس فى المساجد الكبيرة ، ويلازم كبار العلماء وأساطين المعرفة لينظر إلى أهدافه بعيونهم ، ويسدد خطواته فى طريقه على نور هداهم وتجاربهم . قال معاصره الحافظ ابن فهد المكى (٧٨٧ - ٨٧١) : « أول ما كان نظره فى الأدب والتاريخ ففاق فى فنونهما ، وقال الشعر الحسن ، وطارح الأدباء » . ثم أخذ الحديث عن الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى (٧٢٥ - ٨٠٦) وشهد له بأنه أعلم أصحابه فى الحديث . وتفقه على جماعة منهم شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى (٧٢٤ - ٨٠٥) وهو أول من أذن له بالإفتاء والتدريس . وتتلمذ للشيخ سراج الدين عمر بن على بن الملقن (٧٢٣ - ٨٠٤) . وأخذ الأصول عن العز عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن جماعة الكنانى ، كما أخذ اللغة عن صاحب القاموس المحيط مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى (٧٢٩ - ٨١٧) .

وفى تمام سنة ٨٠٠ ازداد شعوره بحاجته إلى وقته ، وكان يضيع عليه منه شطر ثمين فى كل يوم بالانتقال فيما بين مصر العتيقة والقاهرة ، فتحول إلى مزدحم أقدام الطلاب ، تاركاً وراءه فى خطط الفسطاط ذكريات صباه وشبابه ، وذكريات صبا الإسلام وشبابه فى مصر ، واتخذ لنفسه منزلا فى القاهرة ليكون على مقربة من حلقات الدرس وخزائن الكتب ومعاهد العلم والعلماء .

وفى سنة ٨٠٢ — وكان قد ناهز الثلاثين — رأيناه قائماً برحلة فى ديار الشام ، فأدرك فى دمشق بقية من تلاميذ محدث الشام الطبيب المؤرخ العالم القاسم بن مظفر ابن عساكر (٦٢٩ — ٧٢٣) ، وتتلمذ هناك للعلامة زين الدين عمر بن محمد البالسى (٧٣٢ — ٨٠٣) ، ولفاطمة بنت على بن محمد بن المنجا التنوخية ، وقد نوه بها فى كتبه وقال إنه أكثر الأخذ عنها ، ومع أنها شيخته عاشت بعده بضعا وعشرين سنة . وأخذ كذلك فى دمشق عن فاطمة بنت محمد بن عبد الهادى المقدسية (٧٢٢ — ٨٠٣) ، وقد أدركها قبل وفاتها بسنة واحدة ، وقال : قرأت عليها الكثير من الكتب والأجزاء فى صالحية دمشق بسفح قاسيون ونعم الشيخة كانت ، وأخذ عن أختها محدثة دمشق عائشة (٧٢٣ — ٨١٦) وقرأ عليها كتبا عديدة ، وقال عنها : إنها تفردت بالسماع من الحافظ

مكتبتنا العربية

لحجاز ، وكانوا يسمونه « مسند الآفاق » ، ولبث ابن حجر بدمشق فى تلك الرحلة سبعين يوماً يستفيد فى كل يوم بل فى كل ساعة من علمائها ويفيد شبابها وطلابها ، حتى قيل إنه قرأ فى تلك المدة الوجيزة قريباً من مائة مجلس أو أزيد ، ورحل أيضا إلى بيت المقدس فأخذ فيها عن شمس الدين القلقشندى وبدر الدين بن مكى ومحمد المنبجى ومحمد بن عمر بن موسى ، وزار الخليل وأخذ فيها عن صالح بن خليل بن سالم ، ومر بالرملة فتلقى فيها عن عالمها أحمد ابن محمد الأيكى ، وقصد غزة ليروى عن أحمد بن محمد الخليلى ، ولعل وصوله إلى هذه المدن الفلسطينية كان وهو فى طريق رحلته إلى دمشق ، أو عند عودته منها . ثم تعددت رحلاته إلى الحجاز ، وبلغ فى بعض ذلك إلى اليمن ، ولا غرض له فيها إلا لقاء العلماء والأخذ عنهم وربط صلته بشيوخهم وأسلافهم والاطلاع على مالم يكن اطلع عليه من المصنفات المهمة والنادرة . وقد سجل روابطه بشيوخه وعلماء عصره فى مصر وسائر الأقطار بكتب ألفها وكانوا يسمونها « المعاجم » و « الفهارس » ثم صارت تسمى « الأثبات » . وهذا من آثار عناية السلف بالرواية ، وبيان مصدر كل فقرة من فقرات العلم ، وتسمية الشيخ الذى وصلت منه إلى تلميذه . وذلك لأن العلم فى الإسلام أغلى على أهله من المال ، وكما أن قاعدة « أنى لك هذا ؟ » يهتم لها البشر فى أمر المال ، فإن هذه القاعدة نفسها يهتم لها علماء المسلمين فى أمر العلم ، والعلم عندهم عبادة ودين ، وبهذه الطريقة يفتضح الكذبة الذين يأتون بالعلم المزيف ، والتاريخ المزوّر ، والحديث الموضوع ، لأنهم مطالبون بأن يردوه إلى مصادره المحترمة والموثوق بها ، فإن لم تكن لهم هذه المصادر المحترمة بان للعلماء عوار بضاعتهم ، وتحاماها الناس ، واشتهرت فى سوق العلم بالتمويه والغش والتزييف . والرواية عند علماء المسلمين ولاسيما عند علماء الحديث كالأنساب للناس ، وكما أن فى الأطفال لقطاء لا يعرف الناس آباءهم ، فكذلك فى أخبار التاريخ ومرويات الحديث ومسائل العلم أخبار ومرويات ومسائل لا يعرف أصلها ، أو تلصق كذبا بأصول لا [illegible] لها بها ، وذلك من صنع الكذبة الوضاعين أصحاب الأغراض والأهواء والمذاهب الف[illegible] . ولكن علماء الإسلام وأعلامه من ورائهم يفضحون أغراضهم ويميزون الطيب من ا[illegible] بقواعد وقوانين ودراسات فى النقد دونوها وألفوا فيها الكتب . ولذلك صار كل عالم [illegible] بلى أن يسمى شيوخه ، ويبين مصادر علمه . ومن خواتيم هذه العناية الكتب التى ذ[illegible] سمونها المعاجم والفهارس والأثبات . وللحافظ ابن حجر كتب يذكر فيها شي[illegible] كتاب (المجمع المؤسس ، بالمعجم

مكتبتنا العربية

المفهرس) وهو فى مجلدين وتوجد مسودته بخط ابن حجر فى مكتبة الجامع الأزهر ، وفى مكتبة الأزهر كتاب آخر له فى مجلدين أيضا ، والظاهر أنه غير الأول واسمه (المعجم المفهرس) ، وله غيرهما (فهرس المرويات) وكان هذا الكتاب معروفا عند معاصريه والذين جاءوا من بعدهم .

ومن الأخلاق التى عرفت عن الحافظ ابن حجر فى سنوات طلبه للعلم ، وقد ذكرها معاصره الحافظ ابن فهد المكى ، أنه « كان فى حالة طلبه للعلم مفيداً فى زى مستفيد ، إلى أن انفرد فى شبابه بين علماء زمانه بمعرفة فنون الحديث لا سيما رجاله وما يتعلق بهم » . وهذا الخلق فى طالب العلم - أى أن يكون مفيداً فى زى مستفيد - هو من أخص آداب طلب العلم فى الإسلام ، وقد علموا بالتجربة أن « من تواضع لله رفعه » والكبرياء لا تجتمع مع العلم فى نفس واحدة . فإذا لقيت العالم وأنت لا تعرف منزلته فى العلم فانظر إلى تواضعه وكبريائه ، فكلما كان أكثر تواضعاً كان أكثر علماً ، وكلما كان صاحب كبرياء كان ذلك دليلا على فقره فى العلم . ولأن علماء المسلمين نشأوا على التواضع بارك الله لهم فى جهودهم وفى أوقاتهم ونفع الناس بمؤلفاتهم وعلومهم واستطاع الواحد منهم أن يؤلف عشرات الكتب ، وإن من علمائنا مئات ومئات تجاوز عدد مؤلفات الواحد منهم المائة بل المئات ، وهذا يتيم مصر العتيقة الذى نستعرض هذه الصورة الجميلة من حياته استطاع بالتواضع والمثابرة والصبر أن يكون نابغة مصر والعالم الإسلامى ، ولم يفارق هذه الحياة الدنيا إلا بعد أن زاد عدد مؤلفاته على مائة وخمسين ، والكتاب الواحد منها قد يكون فى بضعة عشر مجلداً وقد يكون فى بضع مجلدات وقد يكون فى مجلد ضخم . هذا مع ولايته القضاء أكثر من عشرين سنة ، ومع رحلاته المتعددة سوريا وفلسطين والحجاز واليمن ، ومع إلقائه الدروس اليومية على الطلبة الذين صار علماء ، ثم على الذين صاروا علماء من بعدهم ، حتى قيل إن من تلاميذه الجد والأب وا مر زمان بعد وفاة الحافظ ابن حجر لا يكاد الإنسان يجد فيه منتسباً إلى العلم إلا وهو من تلاميذ يتيم مصر العتيقة أو من تلاميذ تلاميذه . فمتى يأتى ل الوقت الكافى لتأليف مائة وخمسين كتاباً مليئة بالأحاديث المنصوصة بأ بالأقوال المعزوة إلى الأئمة والعلماء ، وبالتحقيقات النفيسة التى هى نتيجة خلا عن التراجم المحررة عن الرواة

مكتبتنا العربية

والعلماء والحفاظ ، وكل كلمة فيها تحتاج إلى مراجعة وتنقيب وتثبت ؟ إن وقت أمثال الحافظ ابن حجر قد بارك الله فيه ، لأن صاحبه كان متخلقاً بأخلاق يرضى الله عنها ، ولذلك مكنه من جمع هذه الثروة العلمية لأمة بعث الله فيها رسوله بالعلم والهدى .

وبعد أن اجتزنا مع الحافظ ابن حجر هذه المرحلة من حياته نلقاه الآن وهو يناهز الاربعين ، والاربعون هى سن النضوج والحكمة ، فلا غرو إذا رأيناه مشمراً عن ساعد الجد لجرد تركة الإسلام والإحاطة بكنوزها ، وأثمن كنوزها ما حفظه سلفنا من أقوال باني هذه الأمة وهاديها إلى الحق والخير صلوات الله وسلامه عليه وما صح عنه من أعمال . وابن حجر بدأ صلته بالحديث النبوى من رحلته الأولى إلى الحجاز سنة ٧٨٤ وكان لا يزال فى الثانية عشرة من عمره . فلما بلغ أشده واستوى اتصل بالحافظ زين الدين العراقى الذى شهد له بأنه أعلم أصحابه فى الحديث . ويقول الجلال السيوطى إن ابن حجر كان يحفظ ما يزيد على عشرين ألف حديث . ويقول مترجمو الحافظ ابن حجر إنه تولى تدريس الحديث فى خانقاه بيبرس نحوا من عشرين سنة وأملى ما يزيد على ألف مجلس فى الحديث من حفظه ، ونيط به التدريس فى المدرسة الجمالية ، وفى دار الحديث الكاملية بين القصرين ، ودرس التفسير فى المدرسة الحسينية ، وفقه الإمام محمد بن إدريس الشافعى فى المدرسة الحروبية البدرية ، ودرس مختلف العلوم فى القبة المنصورية ، وفى المحمودية ، والشريفية الفخرية ، وفى الشيخونية ، والصالحية النجمية ، والمؤيدية ، وفى الصلاحية المجاورة لإمامه الشافعى رحمه الله ورضى عنه . وهذه المدارس كانت يومئذ أعظم عناية بالعلم وتحقيقه والتعمق فيه من أرقى كليات هذا العصر . وسبب ذلك أنهم كانوا يطلبون العلم للعلم ولمرضاة الله عز وجل وعلى أنه عبادة ، أما فى زماننا المادى فالغالب على طلاب العلم أن يطلبوا به الدنيا ، وهم يشتغلون منه بما له سوق رائجة . وشتان ما بين القصدين ، وبين الثمرتين . ومن الحكم التى تعزى إلى السيد المسيح سلام الله عليه قوله « من ثمارهم تعرفونهم » . ولم يكتف ابن حجر بالقضاء والتدريس بل إنه تولى الإفتاء أيضاً بدار العدل ، وتولى الخطابة بالجامع الأزهر ثم بجامع حامل رسالة الإسلام إلى مصر سيدنا عمرو بن العاص رضوان الله وسلامه عليه . ولمحبة ابن حجر للكتب ورغبته فى مجاورتها تولى - فى جملة ما تولاه - خزن الكتب فى المدرسة المحمودية ، فكانت مكتبتها الكبيرة الثمينة كأنها مكتبته الخاصة يطالع فيها ويراجع ويؤلف ما شاء الله له أن يؤلف .

مكتبتنا العربية

ولو لم يقم الحافظ ابن حجر بخدمة الإسلام غير تأليفه كتاب (فتح البارى) لكان ذلك كافياً لتخليده . وما كاد يتم تأليفه حتى تزاحم أعلام العلماء ونجباء الطلبة على استنساخه واقتنائه ، وبيعت النسخة منه فى حياة مؤلفه بثلاثمائة دينار ذهبا . وذهب المثل يومئذ بين علماء الحديث بأنه « لا هجرة بعد الفتح » لأن فتح البارى يغنى متدبره عن الانتقال عنه إلى غيره . وقد بلغ هذا الكتاب فى طبعاته المتعددة ثلاثة عشر مجلدا ، وكان الأقدمون يجزئونه فى ضعف هذا العدد ، ولو أنه طبع طبعة دراسة وتحقيق وعناية ومقارنة لخرج فى أربعين مجلداً وأكثر .

ولفتح البارى مقدمة فى مجلد كبير اسمها (هدى السارى) جمع فيها الحافظ ابن حجر جميع مقاصد فتح البارى .

أما الأحاديث النبوية التى هى من أدلة الأحكام فى التشريع الإسلامى فكان بين أيدى أهل العلم منها فى طفولة يتيم مصر العتيقة كتابان متداولان أحدهما مختصر صغير للحافظ وهو (العمدة) للحافظ عبد الغنى المقدسى وقد تقدم فى هذا المقال أن الحافظ ابن حجر كان يحفظه من طفولته . والكتاب الآخر مطول للدراسة وهو (المنتقى من أحاديث الأحكام للإمام مجد الدين بن تيمية جد شيخ الإسلام تقى الدين . وقد رأى الحافظ ابن حجر أن يجمع فى أحاديث الأحكام كتابا وسطا بينهما حتى إذا حفظه الطلبة كانت مادتهم فى أحاديث الأحكام أغزر ، ولذلك ألف كتابه الشهير (بلوغ المرام) . وإن الإنصاف العلمى والمذهبى الذى كان يغلب على أخلاق الحافظ ابن حجر فى فتح البارى وغيره من مؤلفاته كان مما أثر فى بعض نوابغ علماء اليمن فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، ونرى أثر ذلك فى شرح السيد محمد بن اسماعيل الصنعانى (١٠٥٩ - ١١٤٢) لكتاب بلوغ المرام ، كما نجد مثل هذا الأثر فى شرح القاضى الشوكانى (١١٧٢ - ١٢٥٠) لكتاب المنتقى من أدلة الأحكام ، حتى لا يكاد قارىء الكتابين يشعر بأن مؤلفى الشرحين من كبار علماء الزيدية مع أن مؤلفى المتنين من كبار أئمة أهل السنة . وبمثل هذه الأخلاق ، ولا سيما خلق الإنصاف مضافا إلى خلق الإخلاص ، يكون التقريب المعقول بين أهل المذاهب ، لأن الإنصاف والإخلاص يجمعانهم جميعاً على احترام ما صح من سنة رسول الله ﷺ وإجلال حفظتها من الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان .

مكتبتنا العربية

وهذا ما توافر فى كتاب (سبل السلام ، للسيد محمد بن اسماعيل الصنعانى وكتاب (نيل الاوطار) للقاضى الشوكانى . أما أن يأتينا رجال ينكرون السنة الصحيحة ويروجون الأحاديث المكذوبة ، ويبغضون الصالحين من أصحاب رسول الله ﷺ وتابعيهم وصادق الرواة عنهم ، ويدافعون عن شانئيهم والذين يفترون الكذب عليهم ، ثم يدعون الناس إلى التقريب ، فأى تقريب هذا بين الطيب والخبيث ، وبين الحق والباطل ، وبين الإسلام وضده ؟!

ومن كتب الحافظ ابن حجر فى الحديث (تسديد القوس ، فى مختصر مسند الفردوس) يوجد الجزء الأول منه فى مكتبة الأزهر بخط الحافظ .

ومن أوائل كتبه فى الحديث (تعليق التعليق) ، وقد عنى فيه بوصل ما ذكره الإمام محمد بن إسماعيل البخارى فى صحيحه معلقا ، ويوجد من هذا الكتاب فى المكتبة الأزهرية مخطوطة فى ستة أجزاء بمجلد واحد وعليها خط المؤلف . وقد اختصره المؤلف بكتاب سماه (التشويق) ، ثم اختصر هذا المختصر بكتاب (التوفيق بتعليق التعليق) .

ومن خدمته للحديث تأليفه كتاب (إتحاف المهرة بأطراف العشرة) وهو فهرس للأحاديث المدونة فى الكتب المشهورة ، وله فهرس خاص بمسند الإمام أحمد سماه (المسند المعتلى بأطراف المسند الحنبلى

ومن كتبه فى الحديث (المطالب العالية ، فى الزوائد الثمانية) ، و (تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة) ، و (تبصير المنتبه بتحرير المشتبه) .

وقد عنى بتخريج أحاديث الكتب المشهورة ككتابه (تخريج أحاديث الأربعين النووية) ، و (تخريج أحاديث كتا الأذكار للنووى) ، وله (تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب فى الأصول) وهو فى : ، و (تخريج أحاديث الهداية فى فقه الحنفية) الذى ألف فيه الزيلعى كتاب نصب ، ومن هذا الباب كتابه (التخليص الحبير فى تخريج أحاديث شرح الوجيز للرافعى) فى فقه الشافعية .

وله فى مصطلح الحديث (نخبة مصطلح أهل الأثر) وشرحه (نزهة الفكر فى توضيح نخبة الفكر) .

وكتبه فى تراجم رواة الحديث كتب وأعظمها ، منها (تهذيب التهذيب) طبع فى حيدر أباد الدكن بالهند فى ٢ هذب به كتاب « تهذيب الكمال فى أسماء

مكتبتنا العربية

الرجال ، لمحدث الشام الحافظ المزى . ثم لخصه فى (نهاية التقريب) ، واختصره بعد ذلك فى (تقريب التهذيب) ، وكل منها نافع فى بابه وضرورى للمشتغلين بعلم السنة .

ومن تمام التعريف برواة الحديث العناية بالمطعون فيهم من الرواة ، وكان الحافظ الذهبى قد ألف فى ذلك (ميزان الاعتدال) فى ثلاثة مجلدات ، فنقحه الحافظ ابن حجر وزاد عليه وأخرج من ذلك كتابه (لسان الميزان) فى ستة مجلدات ، وقد طبع فى حيدر أباد الدكن بالهند .

وكما وفى الرواة حقهم ، فإنه قام بمثل ذلك لأئمة الرواة ورءوسهم وطليعتهم الأولى وهم أصحاب رسول الله ﷺ ، فبعد أن كان المتداول قبله فى هذا الباب كتاب (الاستيعاب) لحافظ الأندلس ابن عبد البر وكتاب (أسد الغابة) لابن الأثير الجزرى ، أخرج الحافظ ابن حجر كتابه الوافى الحافل وهو (الإصابة) فى أربعة مجلدات كبيرة فأصبح هو العمدة فى هذا الباب .

ولأنه كان قاضى قضاة مصر ترجم لأسلافه من قضاة مصر فى كتاب (رفع الإصر) وهو من أنفس الكتب .

وترجم لأهل القرن الثامن الذى عاش فيه ، وذلك فى كتابه (الدرر الكامنة ، فى أعيان المائة الثامنة) وقد طبع فى حيدر أباد الدكن فى أربعة مجلدات .

وترجم لأقرانه ولداته فى كتاب استمر على تأليفه إلى سنة ٨٥٠ ، وهو كتاب (إنباء الغمر ، بأبناء العمر) ، ومسودته بخط الحافظ ابن حجر فى دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وكانت هذه المسودة إلى وقت طفولتى ضائعة فى مهمل بتلك المكتبة ، حتى قام شيخنا الشيخ طاهر الجزائرى رحمه الله فى رمضان ١ (على ما أذكر) بتنظيم ، وكانت ، ذلك الدشت واستخرج منها مخطوطات أ ومنها مسودة الحافظ ابن حجر لهذا الكتاب ، وهى الآن معروضة للمطالع فى مكتبة العاصمة السورية .

إن الحافظ ابن حجر كان يتوقع ـ ة علمه فى الحديث النبوى ومعرفة رواته وتراجمهم وطبقاتهم ـ أن يكون أد شعر ويتفنن فى منثور القول وتدبيج الرسائل . غير أن إيمانه بضرورة جرد تنظيم نصوصه وتيسير فهمها وتمييز صحيحها من مريضها ، أنساه الشعر والأد سل . إلا أن ملكة البيان بقيت

مكتبتنا العربية

متأصلة فيه ، فكان إذا سنحت له سوانح المعانى صاغها عفواً فى لطائف من الشعر تؤثر عنه ويتناقلها الناس . وأكتفى - بعد أن طال هذا المقال - بمثال واحد لهذه الناحية من مواهب هذا الرجل العظيم :

فى أواخر سنة ٨٢٠ مالت منارة جامع المؤيد التى بنيت على البرج الشمالى بباب زويلة وكادت تسقط ، واشتد خوف الناس من سقوطها ، فتحولوا من حواليها ، وكان المهندس الذى بناها يسمى ابن البرجى ، فأمر الملك المؤيد بأن تنقض ، فنقضت بالرفق إلى أن أمنوا شرها ، فنظم الحافظ ابن حجر فى هذه الواقعة هذين البيتين :

لجامع مـــولانا المؤيد رونق منارته بالحسن تزهـــو وبالزين
تقول وقد مالت عن القصد أمهلوا فليس على جسمى أضر من العين

وبلغ ذلك معاصره الشيخ بدر الدين العينى ، فظن أن ابن حجر عرض به ، فاستعان بالنواجى الأبرص - وكان شاعراً - فنظم له بيتين معرضاً بابن حجر ونسبهما العينى لنفسه وهما :

منارة كعروس الحسن إذ جليت وهدمها بقضاء الله والقـــدر
قالوا أصيبت بعين ، قلت ذا غلط ما أوجب الهدم إلا خسة الحجر

وبلغت الكلمتان مسامع تقى الدين ابن حجة فقال :

على البرج من باب زويلة أنشئت منارة بيت الله والمعبد المنجى
فأخنى بها البرج الخبيث أمالها ألا صرحوا يا قوم باللعن للبرجى

والبرجى هو الذى كان قائماً على عمارة المنارة قبل أن تميل . ومثل هذه المطارحات كانت من اللطائف التى يتبادلها العلماء والأدباء على سبيل الفكاهة ، ويكون لها جميل الوقع فى المجالس والسهرات فى تلك الأيام التى لم يكن فيها للناس صحف يتحدثون بما يرد فيها .

وبعد فإن الإلمام بأعمال يتيم مصر العتيقة ، وما اتسعت له حياته المباركة من درس ، ومطالعة ، وتفكير ، وتأليف ، وتدريس ، ورحلة فى الأقطار - مضافا ذلك كله إلى ولايته القضاء الأعلى فى القاهرة ، والقضاء يومئذ واحد يشمل قضايا القطر - ليس مما تتسع له هذه الصفحات . وقد حاول تلميذه محمد بن عبد الرحمن السخاوى صاحب الضوء اللامع فى تراجم أعيان القرن التاسع أن يفرد ترجمة شيخه الحافظ ابن حجر فى كتاب مستقل فجاءت فى مجلدين اثنين ، ولو شاء رجل من أهل عصرنا أن يدون ما فى كتاب السخاوى بأسلوب يستوفى به

مكتبتنا العربية

ظروف الوقائع ويجلوها لقرائه حتى يكونوا كأنهم معاصرون لها ومشاهدون لتطوراتها ، لجاء من ذلك كتاب أوسع وأبسط من كتاب السخاوى ، لأن ترجمة رجل كالحافظ ابن حجر هى تاريخ لعصره فى سياسته وثقافته وأخلاق عظمائه وآداب مجتمعه ومستوى طبقاته وأمانى الناس فيه وآمالهم ونواحى قوتهم ومواطن ضعفهم ، ولا بد لأمتنا أن تتعرف إلى رجالها فى العلم والسياسة والحرب والمال والأدب - من صدر الإسلام حتى الآن - على هذه الطريقة ، ليكون كل عصر من عصور تاريخنا الإسلامى نابضاً بحيويته أمام أنظارنا ، معلنا لفضائله ونقائصه بأصولها ونتائجها ، لتتم لنا العبرة بذلك ، ونعرف كيف وبماذا كنا من أهل الخير ، وبماذا ضاع منا ذلك الخير ، فصرنا ضعافا حتى سهل على المستعمرين الاستيلاء علينا ، والتصرف فى أوطاننا وعقولنا وقلوبنا وأذواقنا وأخلاقنا ، إلى أن صرنا كما أرادوا لنا أن نكون ، لا كما أراد لنا قائدنا الأعظم ﷺ أن نكون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولو أن هذا اليتيم كان فى طفولته وصدر شبابه ضعيف العزيمة متوسط الهمة ، أو كان يطلب العلم ليعيش منه ، لذهب فى قافلة الموتى خاملا منسيا ، ولاضمحلت صورته فى ظلام الماضى كما تضمحل صور الموتى الخاملين فى كل يوم وفى كل ساعة ثم لا يذكرهم أحد بخير . بينما الرجل العظيم الذى يستعمل حياته القصيرة فى هذه الدنيا بما ينفع أمته ، ويوفر لها أسباب عظمتها فى الأخلاق وحسن التوجيه حتى تكون عظيمة بفضائلها وثرواتها الأدبية والمادية فإنه يبقى حيا مع الأجيال الآتية بعده كما كان حيا مع جيله ، ويذكره الناس بالخير ، ما تمتعوا بما خلف لهم من مآثر الخير .

أيها الطالب النجيب :

ها أنت الآن فى بداية سنة جديدة من حياتك فى طلب العلم ، فإما أن تكون نفسك عزيزة عليك فتقف جهودك كلها على طلب العلم للعلم وحده ، ولوجه الله وحده ، كما كان يفعل يتيم مصر العتيقة منذ كان يتيما إلى أن صار فتى وشابا ورجلا وشيخا جليلا ترفرف القلوب من حوله بمحبته وإجلاله ، وحينئذ ستجد نفسك سائرا فى طريق مفخرة الزمان ، زين الحفاظ قاضى القضاة شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، وأحسبنى قد أخذت بيدك منذ ساعة فسرت بك من ورائه خطوة خطوة ، حتى عرفته من بداية أمره يوم ولد فى سنة ٧٧٣ إلى أن ختم الله له بالحسنى بعد ثمانين سنة قمرية ، وأزيدك الآن أن مصر كلها

مكتبتنا العربية

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

— ١٠ —

سحر هاروت وماروت

[وما يعلمان من أحد حتى يقولا : إنما نحن فتنة فلا تكفر]

١ — تمهيد — من القضايا التى اتسعت لها جوانب القرآن ، وتناولها سياقه فى غير موضع : قضية السحر والسحرة .

وما كان القرآن ليغفل ظاهرة علمية ـ كظاهرة السحر ـ أخذت مجراها على مسرح الحياة ، حتى اتصلت بالعقيدة ، وكانت مثار الجدل ، بل مبعث اللجاج بين فريقين يختصمان حول الحق والباطل ، وينقسمان حول الدعوة الدينية فى بعض أزمنة النبوة .

والمتصلون بالقرآن يعلمون ما شجر من خلف صاخب بين فرعون وسحرته وبين موسى عليه السلام ، ويعلمون ما كان للسحر على فرعون وبطانته من تأثير ، ثم ما كان لموسى عليهم من الغلب : إذ بطل السحر ، « وألقى السحرة ساجدين ، قالوا آمنا برب العالمين » . فكان من نفحات القرآن أن يبصرنا بتلك الظاهرة التى باتت مزلة للعقيدة ، وفتن بها خلق كثيرون .

ولكن . . من أى ناحية يعرض القرآن للسحر ، وله جوانب عدة ؟ ؟

عهدنا بالقرآن أن يعنى بجانب الموعظة والإرشاد ، ويسوق من الآيات ما يتصل بهدفه ، وينير المحجة لاتباعه ، ويقيم الحجة على مخالفيه .

أما ما بعد ذلك من غايات أخرى ـ كتاريخ السحر ، ووسائله ، وتطوراته ، وأنواعه ، وتفصيل آثاره ـ فقد لا يذكرها القرآن ، أو لا يذكر بعضها إلا عرضا ولتمام الفائدة . . وهو يدعها لبعدها عن مقصوده الأول ـ العظة ـ أو لأنها غير محدودة : فهى تختلف باختلاف الأزمنة ، وتتفاوت فى تقديرها العقول .

مكتبتنا العربية

وحديث القرآن عن السحر يتصل بموسى ، ويتصل بسليمان بن داود عليهم السلام ، ويتصل كذلك بهاروت وماروت من الملائكة المكرمين .

وقد ارتضيت أن أختار ـ سحر هاروت وماروت ـ مطلعاً للحديث لأن زمنهما أسبق من زمن موسى ، ومن زمن سليمان ، إذ كانا فى زمن إدريس ، وزمن إدريس قبل الطوفان ، وأما موسى وسليمان فهما من ذرية إبراهيم ، وبديهى أن إبراهيم وبنيه بعد الطوفان ، وسلام الله عليهم أجمعين .

ونظرة إلى الآيات « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ـ إلى قوله تعالى عطفاً على ما ذكر ـ وما أنزل على الملكين ببابل : هاروت وماروت » توهم أن زمن سليمان أسبق تاريخاً لتقدمه فى الذكر ، وذلك فى بادىء الرأى يخالف ما أسلفت .

ويدفع هذا الوهم أن العطف بالواو ـ بين قضية سليمان وقضية هاروت وماروت ـ لا يفيد ترتيباً فى الزمن ، وإنما هو لمطلق الجمع فى السياق ، ولو كان المعطوف أسبق حدوثاً من المعطوف عليه ـ وذلك شأن مفروغ منه ، سيما أن القرآن الكريم لا يتقيد برعاية التاريخ ، فذلك غير ما يعنيه ، وما كان يغض من روعة القصة أن تكون على ترتيب الزمن فيبدأ فيها بذكر هاروت وماروت على ذكر سليمان .. ولكن الشأن فيما يبدو لنا يقضى بورودها على النمط الذى جاءت به . لأن سليمان رسول .. وقد لصق به السحرة من الأباطيل ما فيه كفر ، والله يغار على رسله من سفه أعدائه ، وأعدائهم ، وأعداء الحق .

فكانت الحكمة السامية أن تبادر الآيات إلى تبرئة سليمان عليه السلام مما عزى إليه « وما كفر سليمان ، ولكن الشياطين كفروا » .

ولنا بعد هذا التمهيد أن نواجه الموضوع .

٢ — من تدبير الله فى ملكه أن يفضى إلى الملائكة بما كان غيباً ثم حان وقته فلم يعد غيبا ، وللملائكة فيما بينهم مناجاة بما ألقى إليهم من شئون كونية ، وكانت للشياطين جولات علوية تمكنهم أن يسترقوا السمع مما يدور بين الملائكة ، ثم تهبط الشياطين بما تلقفته ، وتخلط حقاً بباطل ، فتضيف إلى ما سمعت كثيرا من الأكاذيب الشيطانية ... وينتهون بذلك كله إلى أناس من الأشرار نصبوا أنفسهم للضلال ، واتخذوا الشياطين

مكتبتنا العربية

أولياءهم ، فأصبح شياطين الجن وشياطين الإنس أعوان فتنة ودعاة إفساد ، وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ، ليجادلوكم ، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون » .

ثم ظهرت موالاة أناس للجن بشكل واضح فى عهد إدريس عليه السلام ، وكان علم السحر فاشيا حينئذ بين الناس ، فاستطاع السحرة أن يستعينوا بما يأخذون عن الشياطين : « شياطين الإنس والجن ، يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً » ، وكانت وسيلة هؤلاء المفسدين إلى السحر تجارب وقعت لهم ، وصيغا حفظوها من كتب لا ندرى مصدرها ، كما كانت المنكرات وسيلتهم فى التقرب إلى الشياطين ، فهم يرددون ما يوسوس إليهم مردة الجن ، ويفعلون من الكفريات ما يعجبهم ، ويستهينون بما لا يقدم عليه إلا من خبثت نفسه ، وفسدت طويته وطاب له أن يمعن فى الشر قولا ، وعملا ، وعقيدة ليرضى شهوته وشيطانه .

راجت أباطيل السحرة بأرض بابل - بالعراق - فجرف الناس تيار السحر ، وفتنهم تخيلاته ، حتى التبس عليهم الحق بالباطل وزعموا أو زعم كثير منهم ، جواز الأخذ به على الإطلاق فى غير حرج ، وتزعزعت عقيدة الناس فى كثير من الحقائق الدينية ، فظنوا أن السحرة يعلمون الغيب ، ويخبرون بالمستقبل ، وأن مقام السحرة أشبه بمقام الأنبياء ، وهكذا .

وكان من رحمة المولى بخلقه من أهل تلك الديار أن يبعث إليهم من ملائكة السماء - هاروت ، وماروت - ليعلما الناس أن الشائع بينهم سحر ، بل ليعلماهم نفس السحر ، حتى يتبينوا أنه صناعة تكتسب بالتعلم ، وليس علما سماويا ، وأنه يستعان فيه بالوسائل المادية كالعزائم ، والرقى ، وأن محاولات السحر - وهى عمل إنسانى - قد تصح ، وقد لا تصح . وليس كذلك ما يكون من علم السماء .

إذا عرف الناس ذلك فقهوا وفطنوا إلى الصواب ، واهتدى من فيه صلاحية للهداية ، وكان من أمانة الملكين - كما عهد الله إليهما - أن ينصحا كل أحد من الناس قبل تعليمه ، فيقولا له [إنما نحن فتنة - ابتلاء - فلا تكفر] فلا تغتر بتعلك السحر ولا تعتقد حله ، فتستبيح به المحظور .

مكتبتنا العربية

وبهذا يتضح سبيل الرشد من سبيل الغى ، فمن انتصح واجتنب السحر من أولئك عقيدة وعملا - فهو المؤمن الثابت . ومن تطوع للشيطان فهو غوى من الغاوين ، فكأن تعليم هاروت وماروت امتحان من الله لعباده ، ليتبين لهم ما لا يعرفون من خبايا أنفسهم ، ولله سبحانه - أن يختبر خلقه بما يشاء ، حتى ينفى الخبث عن دينه ، ويبعد الزيف عن خلصائه [أحسب الناس ان يتركوا : أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم] .

ومع تحذير الملكين لمن ينصحانه لم تكن النفوس كلها خيرة : ففريقا هدى ، وفريقا حقت عليهم الضلالة ، واتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ، وأصبح السحر لديهم مفسدة مستباحة ، يلحقون به الأذى بمن شاءوا ، ويغوون به من يركن إليهم ، ويفرقون به بين الصاحب وصاحبه ، بل بين المرء وزوجه . وبقى السحر ظاهرة فاشية ، يتوارثها من الخبيثين خلف عن سلف ، والشياطين يتعهدونهم بالإمداد من أكاذيبهم ، وإغوائهم ، إلى أن جاء عهد سليمان عليه السلام .

٣ — وهنا يرد على الخاطر سؤال : هو أن الطوفان فصل بين سابق ولاحق ، وذهب بالأشقياء ، ونجى الله منه نوحا ومن آمن معه ، فمن أين جاء الأشرار الذين يستحوذ عليهم الشياطين ، ويجددون على أيديهم بواعث الفساد حتى يصلوا إلى عهد سليمان من بعد ؟

والجواب الذى نحاوله : هو أن الطوفان كان عقوبة لأولئك الذين أسرفوا فى كفرهم حتى تمردوا على نوح عليه السلام ، ولم تتحول به الدنيا إلى جنة مطهرة من الخبث والخبائث بل هى الدنيا على حقيقتها ، والشياطين فيها إلى أن يقضى الله فيها قضاءه .

ومعقول جداً : أن يكون فى الناجين مع نوح من يكون عالما بالسحر لا ليستخدمه فى الفساد فإذا تجددت الحياة ، واستأنف الناس فيها مذاهبهم ، ووجد فيهم من يتعلم السحر حديثاً فسيعود فيهم طراز من غواة الفساد ، ولو من ذرية نوح نفسه ، ومن ذرية المؤمنين به .

وما دام الشياطين على ما ألفنا منهم ، والمفسدون على ما عهدنا فيهم ، والدنيا دار امتحان وبلاء ، فلا غرابة أن تكون للسحر وللسحرة نشوة أخرى فى عهد سليمان ، وأن يعود الفساد سيرته الأولى . وهذه سنة الله فى دنياه ، وتعالت حكمته عن الريبة .

٤ — كانت معجزات سليمان عليه السلام : أن يركب الريح ، وأن تجرى بأمره ، وأن يتحكم فى الجن ، ويستخدمها فى الأعمال على اختلافها ، ويحضرها ، ويصرفها ، ويطلق

مكتبتنا العربية

بعضها ، ويقيد بعضا ، وأن يجمع الطير إذا شاء ، ويرسلها إذا ما أحب ، وهكذا مما طلبه وأجيب إليه ، وحدثنا عنه الآيات فى قوله سبحانه « قال رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب ، فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين فى الأصفاد ، هذا عطاؤنا ، فامنن ، أو أمسك ، بغير حساب » وفى قوله تعالى : « وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون » وكذا فى قوله : « وتفقد الطير فقال ما لى لا أرى الهدهد ، أم كان من الغائبين ، لأعذبنه عذابا شديدا ، أو لأذبحنه ، أو ليأتينى بسلطان مبين . . الآيات » .

فى ضوء من هذه المعجزات نشط السحر ، وكثرت أباطيله ، ودأب الساحرون على إفكهم ليقاوموا هذه المعجزات ويكذبوها فى اعتبار الناس ، ويصوروا لهم أن سليمان لا يأتى بمعجز ، ولا يختص بتأييد من الله ، حتى تأثر بذلك جمهرة من البسطاء ، وحسبوا أنه لا فرق بين ما يصدر عن دعاة السحر وما يأتى به سليمان ، وأدى بهم ذلك إلى أن يزعموا للناس أن كتبهم التى يعتمدون عليها فى التعاويذ ، والرقى ، والأبخرة ، واستخدام الجن ، هى نفسها من كتب سليمان ، وكأنهم نجحوا أو كادوا فى إقناع أفراد من القوم بأن الكفر الذى يجرونهم إليه هو من دعوة سليمان التى جاء بها .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وغنى عن الإيضاح أن هذا نقض للرسالة من أصلها ، وأنه غاية ما يصدر عن المخالفين من خيانة لله ، وكيد خبيث لرسله ، والله لا يهدى كيد الخائنين . وإنما يبتلى بعض عباده .

« ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا ، فيجعله فى جهنم ، أولئك هم الخاسرون » .

٥ — ونحن الآن فى نقاش مع اليهود ، وما أكثر النقاش معهم !!

فكتابهم التوراة جاءهم بالحق من عند الله ، وكشف لهم من أمور الغيب ما يجب الإيمان به : من أحداث ، وأحكام ، ونبوات متجددة ، وليس فى كتابهم ، ولا فيما توارثوه عن أنبيائهم ، ولا فيما حدثهم به أحبارهم الأمناء . أن كتابهم آخر الكتب ، ولا أن النبوة تنتهى فيهم .

بل فيه تبشير بأن لله أنبياء منتظرين من غير بنى إسرائيل ، وفيه تمهيد للقرآن ،

مكتبتنا العربية

وللنبي العربي الذي تنتهي به الرسالات . . فكان سهلا عليهم أن يطمئنوا ، ويعتقدوا في غير ريبة ، وألا يجعلوا الأنانية سبيلا إلى المعتقدات الدينية .

ولكن مع استقرار أنباء التوراة في وعيهم ، كلما حان لخبر من أخبار السماء أن يتحقق سارع أحبارهم إلى التكذيب ، وحفزتهم نزعة الأثرة إلى التبديل في التوراة ، ونفضوا أيديهم من سابق علمهم الحق ، وركنوا إلى عماية الجهل المصطنع (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) .

فكان من شأنهم مع المسيح بن مريم - عليه السلام - ما لا يطيب لذي عقل وحساسية أن يقول به في إنسان من جمهرة الناس : فضلا عن نبي مؤيد بكتاب مقدس من عند الله .

ولما جاء محمد - صلوات الله عليه - ووجدوا كتابه مصدقا لأنباء التوراة عن نبي العرب ورسالته زادهم حنقاً والتواء ، حتى أنكروا ما عرفوا ، وتجهموا للتوراة فيما حدثتهم به ونبذوا الأخذ بها فيما تطابق عليه القرآن والتوراة (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم ، نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب - كتاب الله وراء ظهورهم : كأنهم لا يعلمون) ويكفي في ترك التوراة أن يتركوا بعضها ، إذ الإيمان لا يتجزأ .

وبعد نبذهم للتوراة . اعتاضوا عنها — وواضح أن تارك الحق لا يجد عوضاً عنه إلا بباطل ، ضرورة أن الحق لا يتعدد . (فماذا بعد الحق إلا الضلال) ؟؟

كذلك كان — اعتاض المارقون من التوراة بالسحر ، فاتخذوه علماً وعملا وشعاراً ، ووجدوا في ضروب السحر وآثاره مشتهاهم من السيطرة على الأوهام ومن جمع الأموال ، وإفساد العلائق ، وكل ما تبتغيه نفوس منهومة لا تعرف التريث في سبيل غاياتها وإن جمحت أو تجاوزت الجموح .

وإذ كان السحر بالغا أشده في عهد سليمان ، ومن قبله في عهد إدريس منسوباً إلى الملكين لمز القرآن اليهود بإعراضهم عن الحق الصراح ، ولجوئهم إلى الباطل البواح ، فقال الله تعالى [واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان - على عهده - وما كفر سليمان - بعمل السحر - ولكن الشياطين كفروا : يعلمون الناس السحر - وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما

مكتبتنا العربية

ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه - اختاره علما وعملا - ما له فى الآخرة من خلاق] من نصيب . فاليهود هم الآخذون بالسحر الموروث عن عهد سليمان ، وعن الملكين من قبل ، التاركون للقرآن . وقد ظل السحر إلى يومنا هذا بابا من أبواب الشر ، ووسيلة من وسائل الضلال ، حتى ليتخذه بعض الغاوين وسيلة عيشهم ، وسبيلا إلى مخادعة الناس عن الدين وتعاليمه الحقة ، ويضاف إلى ذلك أن أغلب مدعيه جهلة بوسائله ، فهم يخوضون فى المنكر عن معرفة بأساليبه المرذولة مرة ، وعن جهل بها مرات .

بل يبلغ من تبذلهم وسفههم أن يموهوا على الناس بأنه آيات من القرآن ، وصيغ مشروعة ، وقد يصادف أن يتحقق شىء مما يعملون له فتتأصل الفتنة ، ويتركز الضلال [وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ، إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون] .

وبعد — فإن لله حكمة بالغة فى أن يكون بنو إسرائيل أصحاب الموقف البارز فى كل فتنة ثائرة ، وأصحاب محاولات ماكرة فى الفرار من الحق ، واللياذ بالباطل ، حتى لو لم يجدوه لاختلقوه ، فإذا وهن موقفهم ، ولم تسعفهم المعاذير نشطوا فى المراوغات كما كانوا ينشطون إلى قتل أنبيائهم : مبالغة فى تجافى الهداية ، وتأبيهم السمع والطاعة ، ولئن كان لهم نشاط فى عمارة الدنيا ، وإنهاض بعض الصناعات ، فإن ذلك وأضعاف ذلك لا يغير من نفسيتهم ، ولا يرفع من خسيستهم ، بل كلما برزوا فى الميدان الاقتصادى بانت لهم شرور كانت مكبوتة وابتدعوا رذائل كانت مجهولة ؛ فإن أفادوا فى جانب فهم يضرون فى جوانب ، ولعل الضرر منهم يرجح على نفعهم ، فإن شرف الأفراد والجماعات إنما ينهض على القيم الأدبية ، ويقاس بالمعنويات : أكثر مما ينهض على القيم المادية ، أو يقاس بالثروات .

وليت شعرى ! ! لو لم يكن من صنع الله أن تكون يهود كما عهدناها . . أكانت دعوات الأنبياء تتعثر بمثل ما تعثرت بهم ، أو كانت الجماعة الإنسانية تتصدع بمثل ما يصيبها على أيديهم ؟ ؟ ولكن الله أراد ...

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

مكتبتنا العربية

السنة

خصومة الأكابر

الخصومة من طبيعة البشر - موقف الإسلام من الخصومة - أنبل خصومة عرفها التاريخ - شذرة من مناقب العمرين - فضل الصديق على الفاروق - درس نبوى عظيم - درس إلهى أجل وأعظم - شعار الخيرين بعد الدرسين .

عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : كنت جالساً عند النبى ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته ؛ فقال النبى ﷺ : أما صاحبكم فقد غامر . فسلم وقال : يارسول الله ، إنه كان بينى وبين ابن الخطاب شىء ، فأسرعت إليه ثم ندمت ! فسألته أن يغفر لى فأبى على ! فأقبلت إليك . فقال : يغفر الله لك ياأبا بكر ! ثلاثا . ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبى بكر فسأل : أثم أبو بكر ؟ فقالوا : لا ، فأتى إلى النبى ﷺ فسلم عليه ، فجعل وجه النبى ﷺ يتمعر ! حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال : يارسول الله ، أنا كنت أظلم ! مرتين . فقال النبى ﷺ : إن الله بعثنى إليكم فقلتم : كذبت ! وقال أبو بكر : صدق ! وواسانى بنفسه وماله ؛ فهل أنتم تاركو لى صاحبى ؟ مرتين . فما أوذى بعدها . رواه البخارى .

* * *

غامر : دخل فى غمرة الخصومة ، والمغامر : هو الذى يرمى بنفسه فى الأمر العظيم ، وأصل الغمرة : الماء الكثير .

يتمعر : يتغير وتذهب نضارته من أجل الغضب ، والظاهر أنه من قولهم : مكان أمعر إذا لم يكن به خصب ؛ وفى نسخة : يتمغر : أى يحمر ، كأنه صبغ بالمغرة .

مكتبتنا العربية

واساني ، وفي رواية : آساني بالهمز ، وهي الأصل ، وعليها يقتصر بعض أهل اللغة ، والحديث حجة عليه : والمواساة : المعاونة .

تاركولي صاحبي ، بحذف نون الإضافة ، وفي رواية بإثباتها وهي الأصل ، ولذا قال أبو البقاء إن الحذف من خطأ الرواة ، أفلا يبلغ رواة البخاري عنده مبلغ رواة النحاة ؟ ! مع أن لمثل هذا الحذف بين المضافين في العربية وجها وجيها وشاهدا .

* * *

الخصومة من طبيعة البشر في هذه الحياة الدنيا ، لا مفر لهم عنها ولا محيص لهم منها ، ما داموا يختلفون ويتجادلون « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم » . « وكان الإنسان أكثر شيء جدلا » .

بيد أنها تختلف قوة وضعفا ، ورفقا وعنفا ، وقصدا وسرفا ، تبعا لاختلاف الطبائع والميول ، والآراء والعقول ، وكبر النفوس وصغرها ، وعلو الهمم وسفلها .

ولا يؤاخذ الإسلام أحداً باختلاف أو خصومة في سبيل الحق والجهاد فيه والعمل له ما دام سليم القصد حسن الطوية ، نزاعا إلى الخير ، ولو أخطأ في بعض أحيانه قصد السبيل ، بل ربما يدعو الإسلام إلى الهجرة - وهي توءم الخصومة - إذا كانت سبيلا إلى التربية والتأديب . وفي هجرته ﷺ نساءه شهراً أبلغ حجة وأبين دليل .

كما لا يؤاخذ الإسلام أحداً كذلك بالنزغة ينزغها الشيطان في مخاصمته لأخيه ، إذا استغفره أو استغفر الله له ، معترفا بذنبه ، عائذاً من الشيطان بربه ، غير مصر على ما فعل ، ولا مجادل في الحق بعد ما تبين .

* * *

على هذا النحو من النبل في الخصومة - إن لم يكن بد منها - كانت خصومة أصحاب رسول الله ﷺ فيما شجر بينهم ، وعليه تكون خصومة الذين جاءوا من بعدهم ، « يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم » .

وفي هذا الحديث مثل من أروع الأمثال في شرف الخصومة ونبلها ، يضربه لنا الصديق والفاروق بين يدي الرسول الأكرم ﷺ فنرى فيه من أعاجيب الفضل والنبل والسودد

مكتبتنا العربية

ثم من أساليب التربية والتزكية والتعليم ، ثم من الاعتراف بالجميل لأهله ، ما يجل عن وصف الواصفين .

* * *

كان بين الصاحبين الكريمين رضوان الله عليهما محاورة ومعاتبة ، أسرع فيها الصديق إلى الفاروق فأغضبه .. انصرف عمر غضبان أسفاً ! واتبعه أبو بكر نادما معتذرا ! يسأله أن يتقبل عذره فلم يقبل ، ويتوسل إليه أن يغفر له فلم يفعل ، بل تحرز بعد الفرار منه بداره ، وأغلق بابه فى وجهه ! إنها لكبيرة ، وسابقة جد خطيرة ، ليس لها أن ترفع ، إلا إلى الشفيع المشفع صلوات الله عليه وسلامه ...

أقبل رضوان الله عليه ، والرسول ﷺ ينظر إليه ، وقد كشف عن ركبته ، وأخذ من ثوبه بحاشيته ، حتى سلم وجلس ، وقص ما كان بينه وبين صاحبه لم يظلم منه شيئا ، وما إن فرغ من شكاته ، حتى طمأنه الرسول الكريم بدعوته : أن يغفر الله له ، ثلاث مرار يكررها ...

* * *

كان الفاروق رضى الله عنه فى هذه الأثناء راجع نفسه فندم على ما كان منه لأحب الناس إليه بعد رسول الله ﷺ ، فليسرع إذاً إلى بيته ليغفر له ويتقبل معذرته ، بل ليستغفره ويعتذر له ! فلما لم يجده بمنزله أسرع إلى النبى ﷺ .. ومن خير المربين تلقى درساً شديداً قاسيا ، غير أنه كان عظيم النفع ، حميد العاقبة .

لم يكن درساً لعمر وحده ، بل كان درساً للأمة كلها فى شخص عمر ، ذلك الذى أعز الله به الإسلام ، وفرق به بين الحق والباطل ، وأعده لأمر عظيم هو أحق به وأهله ، بعد أفضل الناس وأحبهم إلى رسوله وأولاهم به ، ذلكم ثانى اثنين الله ثالثهما ، ذلكم الصديق أبو بكر رضى الله عنه .

فليجلس عمر إذاً من الرسول ﷺ مجالس التلميذ من معلمه ، ولا بأس إذاً بأن يعرض عنه صلوات الله وسلامه عليه مراراً ، لأنه كان صاحب حق فأضاعه وصار مدينا ، وليذكر - إن كان نسى - من هو أبو بكر ؟ صاحب الأيادى البيضاء التى ذكرها أعرف الناس للصنيعة وأذكرهم لها صلوات الله عليه وسلامه ، فقال فيما قال من فضائله التى لم يشرك فيها

مكتبتنا العربية

أحداً غيره : إن من أمنّ الناس علىّ فى صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذاً خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين فى المسجد باب إلا سد إلا باب أبى بكر (١) وقال : ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه بها ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة ، وما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبى بكر .

* * *

وبينا النبى ﷺ يؤنب عمر ويعتب عليه أن لم يقبل عذر أبى بكر ولم يغفر له بعد أن استغفره ، وكان الظن به ألا يحوجه إلى اعتذار أو استغفار ـ أشفق أبو بكر على عمر أن يناله من رسول الله ﷺ ما يكره ، فيبرك على ركبتيه معتذراً آسفا ، ويقسم للنبى ﷺ مرتين أنه كان أظلم ، لأنه هو الذى بدأ صاحبه بالإساءة ! وهنا يكف النبى ﷺ عن تأنيب عمر وتوبيخه ، ثم يذكر بعض مآثر أبى بكر ومناقبه وسبقه إلى التصديق برسالته ، ومؤاساته له بنفسه وماله ، ثم يختتم حديثه عن أولى الناس به من صحابته بهذه الكلمة المدوية الجامعة : « فهل أنتم تاركو لى صاحبى » ؟ ويكررها مرتين أو ثلاثا كما فى بعض الروايات ، تلك الكلمة التى كانت فصل الخطاب ، فى فضل مقدم الأصحاب ، فلم ينله من الصحابة رضوان الله عليهم مكروه بعدها .

* * *

وإذا أثمرت هذه الخصومة الكريمة بين العمرين ذلك الدرس النبوى العظيم ، فثمت درس إلهى أجل وأعظم ، لا يعنينا أن كان لاحقاً أو سابقاً ، ولكن يعنينا أنه تأديب ربانى للناس كافة ، وللأولى الأمر منهم خاصة ، وفى مقدمتهم الإمامان الخيران : أبو بكر وعمر .

فى صحيح البخارى وغيره أنه لما قدم على النبى ﷺ ركب من بنى تميم قال له أبو بكر رضى الله عنه . أمّر عليهم القعقاع بن معبد ؛ وقال عمر رضى الله عنه : بل أمّر الأقرع ابن حابس : فقال أبو بكر : ما أردت إلا خلافى ، وقال عمر : ما أردت خلافك . فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما ، ونزل قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله » إلى قوله « عظيم » ، فما كانا يكلمان رسول الله ﷺ بعد ذلك إلا سرارا .

اختصما فى الخير والمصلحة للأمة ، ولكنهما افتاتا على رسول الله ﷺ ، إذ لم يكن

---

(١) رواه الشيخان والترمذى ، وروى الذى يليه الترمذى .

مكتبتنا العربية

استشارهما ، ثم عزب عنهما أن مجلسه أجل وأرفع من أن يكون فيه تنازع أو صخب . وهما الأسوة الحسنة بعد رسول الله ﷺ ، فكان فى هذه الآيات التأديب الإلهى الرائع ، الذى يملأ النفوس إجلالا وإكباراً للرسول الأكرم ، وينفى المراجعة أو المجادلة مما يشوبها من كدر الخصومة ولجاجها .

وكذلك كان هذا الأدب الرفيع شعارهما فيما يختلفان فيه بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وهما يقلبان وجوه الرأى ، لا وجهة لهما إلا الخير والمصلحة ، وسرعان ما يتفقان على ما هو أهدى سبيلا ، ومن ذلك اختلافهما فى قتال مانعى الزكاة وكان رأى أبى بكر أن يأخذهم بالسيف حتى يؤدوها كاملة ، ورأى عمر مسالمتهم وتألفهم خشية أن يكون القتال نكبة على الإسلام والمسلمين ! ولكن عزم الصديق وهو الرفيق اللين ، غلب سلم الفاروق وهو المقدام الصنديد ! ومن ذلك اختلافهما فى جمع القرآن كما أشار عمر وتحرج أبى بكر أن يفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ، فلم يزل يراجعه حتى شرح الله صدر أبى بكر للذى شرح له صدر عمر

* * *

هذا مثل من أمثال كثيرة فى خصومة أولى الفضل والنبل ينادينا ألا تلغوا ولا تخاصموا فإن لم يكن بد من لغو أو خصام ، فحسبكم أن تمروا عليه مرور الكرام .

طه محمد الساكت

الهدم والبناء

قيل للخليل بن أحمد : استفساد الصديق أهون من استصلاح العدو . فقال : نعم ، كما أن تخريق الثوب أهون من نسجه .

مكتبتنا العربية

مولد رسول مولد رسالة

حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

أذاع حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر الكلمة الآتية فى صباح يوم ١٢ ربيع الأول من دار الإذاعة المصرية :

يحتفل المسلمون الآن بمولد خير الخلق ، المبعوث بالهدى ودين الحق .

إنه مولد الإنسان الكامل ، الذى ولدت بمولده رسالة الإنسانية الكاملة .

والإنسان الكامل الذى نحتفل بذكرى مولده ، قد تمكن - فى ثلاث وعشرين سنة هلالية قضاها فى حياته النبوية على الارض - من أن يقدم للتاريخ أنموذجا للأمة المثالية يعرضه على الاجيال منذ نحو أربعة عشر قرنا ، لتقوم حجة الله على الناس فيما ينبغى لهم أن يأخذوا به ، وما ينبغى لهم أن يتحرجوا منه ، فيكونوا هم أيضاً صورة أخرى من صور الأمة الكاملة التى صنعها الله بيدى حامل أكمل رسالاته ، فإن فعلوا كانوا من أهل الهدى ودين الحق ، وفتح الله لهم كنوز السعادة ينعمون فيها بنعمة الطمأنينة والرضا ، إلى أن يلقوا الله راضياً عنهم وهم راضون عنه .

إن هذا المولود الكامل صلوات الله وسلامه عليه لم يكن فى زمن مضى ولا فى زماننا هذا بحاجة من الإنسانية إلى تخليد ذكراه ، فإن الله قد رفع له ذكره ، منذ شرح صدره للهدى والحق ، وقرن اسمه إلى اسمه عز وجل فى شهادة الملايين له آناء الليل وأطراف النهار بأنه أدى رسالة الله كاملة ، واعترفت له الأمم على اختلاف العصور بأنه صنع من أمته أمة لا يعرف تاريخ الإنسانية أمة بلغت شأوها

إن هذا المولود العظيم صلوات الله وسلا
فإن الدهر يفنى ولا تفنى ذكراه الطيبة الخ
المغتبطين بأننا من أهل الإجابة لدعوته ، و
وهنائنا وكرامتنا وقوتنا وصدق انتما

ن فى حاجة إلى إحياء ذكراه وتخليدها ،
كننا نحن معاشر المسلمين المنتسبين اليه ،
ة لان يذكر بعضنا بعضاً بأن سعادتنا
هذه الذكرى - كل ذلك موقوف

مكتبتنا العربية

على أن نعود إلى الأخذ برسالته وأنظمتها : فى أنفسنا وبيوتنا وأسواقنا ، ومجتمعاتنا ، ومحاكمنا ودور حكمنا ، فى كل ما اشتملت عليه هذه الرسالة الكاملة من أغراض ومبادىء وأخلاق وأحكام ومقاصد .

علينا أن نحتفل اليوم بإحياء ذكرى (رسالة الإسلام) فى عمومها وشمولها . وأول المظاهر فى إحياء هذه الذكرى أن نتخذ الأسباب للعمل بها ، وأول العمل بها أن يعمل بها كل مسلم فى ذات نفسه ، وفيما بسط الله عليه سلطان مسئوليته وولايته من أهل وولد ، أو أمة وبلد .

إن الرسالة التى بعث الله بها صاحب هذه الذكرى - سلام الله ورحمته عليه - تنحصر فى كلمتين اثنتين هما : « الحق » و « الخير » ، وإن وراء هاتين الكلمتين من مدلولات المعانى والأمانى ما لا آخر له ، ومجموع ذلك هو الإسلام الذى بعث الله به صاحب هذه الذكرى ﷺ . ولا نعرف أحداً يخاف الحق والخير أو يبغضه منهما ويعارض فى إقامتهما وظهورهما ، إلا أن يكون مبطلا أو شريراً . ولذلك كانت رسالة الإسلام عامة إلى جميع الأمم فى كل زمان ومكان . وجدير بكل من يحب الحق والخير أن يتدبر رسالة الإسلام وما اشتملت عليه منهما ليعمل بما انطوت عليه من حق وخير بقدر ما يرى فيها من مواتاة الحق والخير ، وأن يصلى ويسلم عند ذلك على صاحب هذه الرسالة لأنها رسالة الإنسانية الكاملة ، والإنسان - من حيث هو إنسان - جدير به أن يؤمن بها ، وأن يكون من أوليائها ، وأن يحيى عليها إلى أن يموت عليها .

أيها المسلمون ، إذا كان الإنسان - من حيث هو إنسان - جديراً به أن يتدبر الرسالة التى ولدت بمولد هذا الرسول الكريم ، وأن يعمل بها ، وأن يصلى ويسلم من أعماق قلبه على المختار من الله لحملها والدعوة إليها وطبع أمم الأرض بطابعها ، فأنتم أجدر الناس بأن تعاهدوا الله فى هذه الذكرى المباركة بأن تجعلوا تدبر رسالة الإسلام أعظم أعمالكم ، وأن تؤمنوا بكل ما انطوت عليه من حق وخير ، وأن تعيدوا إليها جمالها بما يراه الناس من ذلك فى أعمالكم . وهذا العهد أو فق العهود لذلك ، ولا سيما فى ذكرى مولد خير الخلق ، المبعوث من الله بالهدى والحق ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وكل من عمل برسالته . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مكتبتنا العربية

ديوان محمد الإسلام

من بدائع الشاعر الإسلامي الكبير أحمد محرم رحمه الله

بتعليق الأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

غزوة أحد

كانت فى شوال من السنة الثالثة ، وأحد جبل من جبال المدينة ـ لما أصاب قريشاً يوم بدر ما أصابها ، مشى عبد الله بن أبى ربيعة ، وعكرمة بن أبى جهل ، وصفوان بن أمية إلى أبى سفيان ، وإلى من كان له تجارة فى العير التى كانت سبباً للوقعة ، وكانت لا تزال موقوفة فى دار الندوة ، يحرضون على الحرب ، وأن يجعل ربح التجارة لتجهيز الجيش . فقال أبو سفيان : أنا أول من يفعل ، وبنو عبد المناف معى ، ورضى القوم ، وكان الربح خمسين ألف دينار ، وقيل خمسة وعشرين ألفا ، وفى ذلك نزلت : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون » .

* * *

أدأبك أن تريد المستحيلا ؟ تأمل أيها المولى قليلا
لبثت تعالج الداء الدخيلا وتضمر فى جوانحك الغليلا
وما يجديك لا عجه فتيلا

أما تنفك تذكر (يوم بدر) وما عانيت من قتل وأسر
وراءك إنها الأقدار تجرى بنصر (للنبى) وراء نصر
وكان الله بالحسنى كفيلا

(أبا سفيان) دع (صفوان) يبكى و (عكرمة) يطيل من التشكى
وقل للقوم فى بر ونسك نهيت النفس عن كفر وشرك
وآثرت المحجة والسبيلا

مكتبتنا العربية

أراك أطعتهم وأبيت إلا سبيل السوء تسلكه مدلا [١]
تريد (محمداً) وأراه بسلا رويدك يا (أبا سفيان) هلا
أردت لقومك الحسن الجميلا ؟

(قريش) لم تزل صرعى هواها و (عير الشؤم) لم تحلل عراها
أجل عينيك وانظر ما عساها تسوق من الجنود إلى وغاها ؟
فقد حملت لكم أسفاً طويلا

دعا (صفوان) شاعره [٢] فلبى وكان يسومه شططاً فيأبى
أحل له الهجاء ، وكان خبا [٣] أحب من الخيانة ما أحبا
يريد العيش محتقراً ذليلا

يذم (محمدا) ويقول نكرا ولولا لؤمه لم يأل شكرا
تعمد حقه [٤] وجزاه شرا وأمسى عهده كذبا وغدرا
وإن له لمنقلباً وبيلا [٥]

ألم يمنن عليه إذ الأسارى تكاد نفوسها تهوى حذارا ؟
تطوف به موطنة حيارى تود لو انها ملكت فرارا
وهل يعطى عدو الله سولا ؟

---

(١) المدل الواثق بنفسه وبما لديه .

(٢) قال صفوان لأبى عزة : يا أبا عزة إنك رجل شاعر فأعنا بلسانك ، ولك على إن رجعت أن اغنيك ، وإن أصبت أجعل بناتك مع بناتى . قال : إنى عاهدت محمدا حين أطلقنى فيمن أطلق من أسارى بدر ألا أظاهر عليه أحدا . فقال صفوان : بل أعنا بلسانك يا أبا عزة . فخرج هو ومسافع يستنفران الناس .

(٣) الخب : الخداع .

(٤) تعمد حقه : أنكره واصل المعنى ستر الشيء وإخفاؤه .

(٥) ظفر به النبي صلى الله عليه وسلم فى وقعة حمراء الأسد فامر عاصم بن ثابت بقتله ، وحمل رأسه إلى المدينة .

مكتبتنا العربية

(جبير[١]) أكان عمك حين أودى (كعم محمد) شرفاً ومجدا ؟
أ (حمزة) أم (طعيمة) كان أهدى ؟ رويدك يا (جبير) أتيت إذا
وإن قضاء ربك لن يحولا
أراد فما (لوحشى) محيد ولا لك مصرف عما يريد
أليس (لحمزة) البأس الشديد ؟ فما يغنى فتاك ، وما يفيد ؟
تبارك ربنا رباً جليلا
تولوا بالكتائب والسرايا [٢] وساروا بالحرائر والبغايا [٣]
منايا قومهم جلبت منايا فسيرى فى سبيلك يا مطايا
ولا تدعى الرسيم ولا الذميلا [٤]
وياخيل اركضى بالقوم ركضا وجوبى للوغى أرضاً فأرضا
لعمل الناقم الموتور يرضى نشدتك ، فانفضى البيداء نفضا
ووالى فى جوانبها الصهيلا
ويا (هند[٥]) اندبى القتلى ونوحى وزيدى ما بقومك من جروح
وراءك كل منصلت [٦] طموح تهيج بأسه ريح الفتوح
وراءك فتية تأبى النكولا [٧]

---

(١) جبير بن مطعم بن عدى دعا غلامه وحشيا ، وقال له : اخرج بحربتك مع الناس ، فانك إن قتلت حمزة عم محمد يعنى طعيمة بن عدى (وكان قتله حمزة رضى الله عنه فى وقعة بدر) فأنت عتيق .

(٢) كان عددهم ثلاثة آلاف رجل .

(٣) خرجت النساء مع المشركين بالدفوف ، ويقول ابن الجوزى : وساروا بالقيان والدفوف والمعازف والخمور والبغايا .

(٤) الرسيم والذميل نوعان من سير الابل ، والأول أسرع .

(٥) هند زوج أبى سفيان كانت ممن خرج مع الجيش من النساء يبكين قتلى بدر ويحرضن على القتال وترك الفرار .

(٦) المنصلت هنا : المضى فى الأمور .

(٧) النكول : النكوص والجبن .

مكتبتنا العربية

وراءك نسوة للحرب تزجى ترج دفوفها الأبطال رجا
وتلك خمور عسكرك المرجى وكان الغى بالجهلاء أحجى [١]
كذلك يطمس الجهل العقولا

رأيت الرأى شؤماً أى شؤم وما تدرى يمينك أين ترمى
لعمرك إنه لرسيس هم [٢] تغلغل منك بين دم ولحم
فيا (ابنة عتبة) اجتنبى الفضولا

أعن جسد الرضية (بنت وهب) يشق القبر يا امرأة (ابن حرب)؟
ويقطع بالمدى فى غير ذنب؟ ليفدى كل مأسور بإرب
فياعجبا لقول منك قيلا [٣]

هى الهيجاء ليس لها مرد فمن يك هازلا فالأمر جد
لبأس الله يا هند أشد له جند، وللكفار جند
وإن لجنده البطش المهولا

سيوف (محمد) أمضى السيوف وأجلب للمعاطب والحتوف
إذا هوت الصفوف على الصفوف وأعرض كل جبار مخوف
مضت ملء الوغى عرضاً وطولا

أرى (السعدين) [٤] قد دلفا وهذا (على) بالحسام العضب لاذا

---

(١) أحجى بمعنى أخلق.

(٢) رسيس الهم وغيره ما يثبت منه.

(٣) لما بلغ المشركون الأبواء أشارت هند عليهم بنبش قبر أم النبى صلى الله عليه وسلم، وأخذ جثمانها، قالت: فان أصر منكم أحد فديتم كل أسير بارب من آرابها [الارب الجزء]، فأبوا، خيفة أن ينبش بنو بكر قبور موتاهم.

(٤) سعد بن معاذ وسعد بن عبادة.

مكتبتنا العربية

و (حمزة) جد معتزما ، فماذا ومن للقوم إن أمسوا جذاذا [١]
وطار حمانهم فمضوا فلولا

وفى الأبطال [٢] فتيان رقاق بأنفسهم إلى الهيجا اشتياق
لهم فى الناهضين لها انطلاق دعا داعى الجهاد فما أطاقوا
بدار السلم مثوى أو مقيلا

أعادهم (النبى) إلى العرين شبولا سوف تصلب بعد لين
يضن بها إلى أجـــل وحين رعاك الله من سمح ضنين
يسوس الأمر يكره أن يعولا [٣]

وقيل (لرافع) نعم الغلام إذا انطلقت لغايتها السهام
تقـــدم أيها الرامى الهمام إذا الهيجاء شب لها ضرام
فأمطرها سهامك والنصولا [٤]

ونادى (سمرة) أيرد مثـــلى ويقبل صاحبى ، وأنا المجلى ؟ [٥]
أصارعه ، فإن أغلب فسؤلى وكيف أذاد عن حق وعدل ؟
وأمنع أن أصول وأن أجولا ؟

---

(١) صار الشىء جذاذا أى قطعا .

(٢) عرض النبى جيشه بعد أن عسكر بالشيخين ـ جبلان أو أطمان ـ فوجد فيه جمعا من الفتيان لم يبلغوا الخامسة عشرة ، وقيل الرابعة عشرة ، فردهم وأجاز رافع بن خديج من دونهم ، لما قيل له إنه يحسن الرماية ، وقال سمرة بن جندب لزوج أمه : أيقبل رافع وأرد ، وأنا أصرعه ؟ فبلغت مقالته النبى فقال : تصارعا ، فصرع سمرة صاحبه فأجازه .

(٣) عال فى الحكم جار ومال عن الحق ، وعاله الأمر : شق عليه وثقل .

(٤) نصل السهم : حديدته ، والنصول جمع .

(٥) المجلى : الأول من خيل السباق .

مكتبتنا العربية

وصارعه ، فكان أشد أسراً [١] وأكثر فى المجال الضنك صبرا
وقيل له : صدقت ، فأنت أحرى بأن ترد الوغى فتنال نصرا
ألا أقبل ، فقد نلت القبولا
(أعبد الله) مالك من خلاق [٢] فعد بالناكفين ذوى النفاق
كفاك من المخافة ما تلاقى ومالك من قضاء الله واق
وأن أمسيت للشعرى نزيلا
أبيت على (ابن عمرو [٣]) ما أرادا وشر القوم من يأبى الرشادا
نهاك ، فلم تزد إلا عنادا ألم يسمع فريقك حين نادى
أطيعوا الله واتبعوا الرسولا ؟
يقول : نشدتكم ، لا تخذلوه وموئق قومكم لا تنقضوه
(رسول الله) إلا تنصروه فإن الحق ينصره ذووه
ألا يعداً لمن يبغى الغلولا [٤]
تجلى نور ربك ذى الجلال وهز الشعب صوت من (بلال)
بلال الخير أذن فى الرجال فهبو للصلاة من الرحال
وقاموا خلف (سيدهم) مثولا [٥]

---

(١) الأسر : الخلق بخاء مفتوحة ، وشدة الأسر من صفات القوة .
(٢) عبد الله بن أبى [ابن سلول] رجع ومن معه من المنافقين ، وكانوا ثلثمائة رجل ، وهو يقول : عصانى وأطاع الولدان ومن لا رأى له ، سيعلم . لا ندرى علام نقتل أنفسنا ؟ ارجعوا أيها الناس — الخلاق : النصيب الوافر من الخير ، وقيل ما يكسب الانسان هذا النصيب من أفعاله الممدوحة .
(٣) عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رضى الله عنهما ، انطلق فى أثر المنافقين يريد ردهم ويقول لهم : يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم . فلم يطيعوه . فقال أبعدكم الله ، سيغنى الله تعالى عنكم نبيه . (٤) الغلول : الخيانة .
(٥) مضى صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد فصف المسلمين . وحانت صلاة الصبح والمسلمون يرون المشركين فأذن بلال رضى الله عنه للصلاة ، وصلى النبى بأصحابه — الرحال جمع رحل وهو هنا بمعنى المثوى ، أو المنزل ، أو ما يكون مع الرجل من الأثاث ، ومثول : جمع ماثل أى قائم .

مكتبتنا العربية

علا صوت الآذين فأى معنى لمن هو مؤمن أسمى وأسنى ؟
إله الناس فرد لا يثنى تأمل خلقه إنساً وجنا
فلن تجد الشريك ولا المثيلا

أجل الله أكبر لا مراء فهل سمع الألى كفروا النداء ؟
أظن قلوبهم طارت هباء فلا أرضا تطيق ولا سماء
جلال الحق أورثهم ذهولا

سرى الصوت المردد فى الصباح فضج الكون - حى على الفلاح -
تلقى صيحة الحق الصراح فقام يصيح من كل النواحى
يسبح ربه غب [1] ارتياح ويحمده بألسنة فصاح
تعطفت الجبال على البطاح وكبرت المدائن والضواحى
وأوبت [2] البحار مع الرياح وصفق كل طير بالجناح
كتاب الحق ، ما للحق ماح يرتل فى الغدو وفى الرواح
فقل للناس من ثمل وصاح شريعة ربكم ما من براح
فمن منكم يريد بها بديلا ؟

ألا طابت صلاتك إذ تقام وطاب القوم إذ أنت الإمام
أقمها يا (محمد) فهى لام [3] تساقط حولها الجنن العظام [4]
بها يتخطف الجيش اللهام وليس كمثلها جيش يرام
قضاها الله ، فهى له ذمام وذاك نظامها ، نعم النظام
يوطد من بنى ، وهى الدعام ويصعد بالذرى وهى السنام

---

(١) غب : بمعنى بعد .
(٢) التأويب هنا : ترجيع الصوت [يا جبال أوبى معه] .
(٣) اللام [جمع لامة] : وهى الدرع .
(٤) الجنن [جمع جنة] : وهى هنا ما يتقى به من السلاح .

مكتبتنا العربية

نهضت لها ، وما هب النيام وبادرها الميامين الكرام
مقام ما يطاوله مقام ودين من شعائره السلام
يصون لواءه جيلا فجيلا

(هدى الأجيال) يخطب فى الهداة ويأمر بالجهاد وبالصلاة [١]
وبالأخلاق غرا طيبات ملقى الوحى والإلهام هات
وصف للناس آداب الحياة وكيف تكون دنيا الصالحات
وخذهم بالنصائح والعظات مضيئات للعالم مشرقات
شعوب الأرض من ماض وآت عيالك ، فاهدهم سبل النجاة
إذا ضلت دهاقين [٢] الثقات وأمسى الناس أسرى الترهات
وخف ذوو الحلوم الراسيات فأصبحت الممالك راجفات
أقت الأرض تكره أن تميلا

ألا برز (الزبير) فأى وصف (حوارى الرسول) يبى ويكفى ؟
برزت (لخالد) حتفاً لحتف تصد قواه عن كر وزحف
وتدفعه إذا انبعث الرعيلا [٣]
ألم تره و (عكرمة) استعدا ؟ فإما جدت الهيجاء جدا

---

(١) خطب صلى الله عليه وسلم أصحابه عند صلاة الصبح يحثهم على الجهاد والصلاة ، ومن قوله فى هذه الخطبه : « ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم به ، ولا أعلم من عمل يقربكم الى النار إلا وقد نهيتكم عنه ، لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لا ينقص منه شىء وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله ربكم ، وأجملوا فى طلب الرزق ، لايحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله ، والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى اليه سائر جسده ، والسلام عليكم .

(٢) الدهاقين : الذين لهم قوة التصرف من كبار الرجال .

(٣) أقبل خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل فى طليعة خيل المشركين ، فامر الزبير بن العوام أن يذهب على رأس قوة من المسلمين فيقف بازائه ، وأرسل جماعة من أصحابه ليكونوا فى جانب اخر وقال : لاتبرحوا حتى أوذنكم ، ولا يقاتلن أحد منكم حتى آمره بالقتال . والرعيل : القطعة من الخيل .

مكتبتنا العربية

بنى لها (رسول الله) سدا . ومثلك يعجز الأبطال هدا
ويترك كل ممتنع مهيلا [١]

لمن يرث الممالك ، لا سواه أعد (الفائد الأعلى) قواه
وبث الجيش أحسن ما يراه تعالى الله ، ليس لنا إله
سواه ، فواله ودع الجهولا

(رماة النبل) ما أمر (النبي) فذلك ، لا يكن منكم عصى [٢]
إذا ما زالت الشم الجثى [٣] وكان لها انطلاق أو مضى
فكونوا في أماكنكم حلولا

(رماة النبل) ردوا الخيل عنا وإن نهلت سيوف القوم منا
فلا تتزحزحوا ، فإذا أذنا فذلك ، أن للهيجاء فينا
تلقنه الجهابذة الفحولا [٤]

تلق (أبا دجانة) باسمين حسامك من يد (الهادي الأمين) [٥]

---

(١) المهيل من الرمل ونحوه : ما انهال .

(٢) كان الرماة خمسين رجلا ، أمر النبي عليهم عبد الله بن جبير ، وقال له : انضح الخيل عنا بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا ، واثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا ، وفي رواية - إن رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تعينونا ، ارشقوهم بالنبل فان الخيل لا تقدم على النبل . إنا لا نزال غالبين ما مكثتم مكانكم ، اللهم إني أشهدك عليهم .

(٣) الجبال الرواسي كأنها في صورة من يجثو أي يجلس على ركبتيه أو يقوم على أطراف أصابعه .

(٤) الجهابذة [جمع جهبذ] : وهو الناقد البصير .

(٥) أخرج النبي صلى الله عليه وسلم سيفا مكتوبا في إحدى صفحتيه :

في الجبن عار ، وفي الاقبال مكرمة والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

ثم قال : من يأخذ هذا السيف بحقه ، فقام اليه رجال فأمسكه عنهم ، وكان من جلتهم علي بن أبي طالب قام ليأخذه فقال : اجلس ، وعمر فأعرض عنه ، والزبير [وطلبه ثلاث مرات] فكذلك ، وقام أبو دجانة فقال : ما حقه يا رسول الله ، قال : تضرب به في وجه العدو حتى ينحنى ، قال : أنا آخذه بحقه ، فدفعه اليه .

مكتبتنا العربية

وخذه بحقه فى غير لين لتنصر فى الكريهة خير دين
يرف على الدنا ظلا ظليلا

نصيبك نلته من فضل رب قضاه لصادق النجدات ضرب [١]
تخطى القوم من آل وصحب فكان عليك عضباً فوق عضب
تبختر ، واعض مسنونا صقيلا [٢]

(أبا سفيان) لا يقتلك هما ولا يذهب بحلمك أن تذما [٣]
أحين بعثتها شرا وشؤما أردت هوادة ، وطلبت سلما ؟
مكانك ، لا تكن مذلا [٤] ملولا

من الداعى يصيح على البعير : أمالى فى الفوارس من نظير ؟ [٥]
أرونى همة البطل المغير إلى فما بمثلى من نكير [٦]
أنا الأسد الذى يحمى الشبولا

تحداه (الزبير) وفى يديه قضاء خف عاجله إليه
رمى ظهر البعير بمنكبيه وجرعه منيته عليه
فأسلم نفسه وهوى قتيلا

---

[١] الضرب من الرجال : الماضى فى الأمور .

[٢] كان أبو دجانة يختال عند الحرب ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم وقد رآه بين الصفين : إنها لمشية يبغضها الله إلا فى مثل هذا الموطن .

[٣] نادى أبو سفيان عند اصطفاق القوم : يا معشر الأوس والخزرج ، خلوا بيننا وبين بنى عمنا ونتصرف عنكم ، فشتموه أشد الشتم .

[٤] المذل : الفلق الضجور .

[٥] خرج رجل من المشركين على بعير يدعو البراز فأحجم عنه الناس ، وقام إليه الزبير فوثب حتى استوى معه على البعير ، ثم عانقه فاقتتلا فوق ظهره ، فوقع المشرك ووقع عليه الزبير فذبحه ، فأثنى عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : لكل نبى حوارى ، وإن حوارى الزبير ، وقال : لو لم يبرز إليه الزبير لبرزت إليه .

[٦] نكر الرجل الآخر نكيراً : جهله ولم يعرفه .

مكتبتنا العربية

ألا بعداً (لطلحة [١]) حين يهذى فيأخذه (على) شر أخـــذ
أصيب بقسورى البأس فذ يعد لكل طاغى النفس مؤذ
يعـــالج داءه حتى يزولا
أمن فقد إلى فقد جديد ؟ لقد أضحى اللواء بلا عميد
بصارم (حمزة) البطل النجيد هوى (عثمان) إثر أخ فقيد [٢]
وأم الكفر ما برحت ثكولا
أبى شر الثلاثة [٣] أن يريعا [٤] فخر على يدى (سعد) صريعا
ثلاثة إخوة هلكوا جميعاً وراح (مسافع [٥]) لهم تبيعا
رمت يد (عاصم) سما نقيعا تورد [٦] جوفه فجرى نجيعاً [٧]
وجاء (أخوه [٨]) يلتمس القريعا فأورد نفسه وروداً فظيعاً
أ (عاصم) أنت أحسنت الصنيعا فعند الله أجرك لن يضيعا
وإن لربك الفضل الجزيـــلا

---

(١) طلحة بن أبى طلحة ـ من بنى عبد الدار ـ حامل لواء المشركين ، طلب المبارزة وجعل يهذى بكلام منه : يا أصحاب محمد ، زعمتم أن قتلاكم إلى الجنة وأن قتلانا إلى النار ، وفى رواية ـ إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار ، ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة ، فهل أحد منكم يعجلنى بسيفه إلى النار ، أو أعجله بسيفى إلى الجنة ؟ كذبتم واللات والعزى ـ خرج إليه على بن أبى طالب فقتله .

(٢) لما سقط لواء المشركين بعد قتل طلحة أخذه أخوه عثمان فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلى مؤتزره .

(٣) لما قتل عثمان بن أبى طلحة أخذ اللواء أخوه أبو سعيد بن أبى طلحة ، فرماه سعد ابن أبى وقاص فأصاب حجزته فقتله .

(٤) يريع : بمعنى يرجع .

(٥) مسافع بن أبى طلحة الذى قتله على بن أبى طالب كرم الله وجهه ـ أخذ اللواء بعد أبى سعيد فرماه عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح فقتله .

[٦] توردة بمعنى ورده .

[٧] النجيع : ما كان إلى السواد من الدم ، أو هو دم الجوف .

[٨] أخو مسافع الحارث بن طلحة أخذ اللواء بعد أخيه فرماه عاصم فقتله . والقريع هنا القارع .

مكتبتنا العربية

رميتهما فظلا يزحفان يجران الجراح وينزفان [١]
وخلفهما من الدم آيتان هما للكفر عنوان الهوان
ترى الرأسين مما يحملان على الحجر المذمم يوضعان
أمن ثدي (سلافة) يرضعان ؟ تقول وقلبها حران عان
على الجود بالمائة الهجان [٢] لمن يأتي بهامة من رماني
فواظمأى إلى بنت الدنان تدار بها على فودعاني
وموتا ، إن للقتلى ذحولا [٣]
دعاة (اللات والعزى) أنيبوا فليس لصائح منكم مجيب
وليس لكم من الحسنى نصيب لرب الناس داع لا يخيب
ودين الحق يعرفه اللبيب وما يخفى الصواب ولا يغيب
ويداً إن موعدكم قريب وكيف بمن يصاب ولا يصيب ؟
سليب النفس يتبعه سليب أما يفنى الطعين ولا الضريب ؟
لواء ليس يحمله (عسيب) [٤] عليه من منایاكم رقيب
كفاكم ، باله حملا ثقيلا
رمى بالنبل كل فتى عليم فرد الخيل دامية الشكيم [٥]
بنضح مثل شؤبوب الحميم يصب على قراعنة الجحيم

---

[١] كان كل واحد من مسافع والحارث بعد أن رماه عاصم يأتي أمه سلافة ويضع رأسه في حجرها فتقول : يا بني من أصابك ، فيقول سمعت رجلا يقول : خذها وأنا ابن الأقلح ، فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر ، وجعلت لمن يجيء به مائة من الابل .

[٢] الهجان : الخالصة .

[٣] جمع ذحل : وهو الثأر .

[٤] اسم جبل ، وقد تتابع القتل في حملة اللواء ، فتمزق المشركون .

[٥] حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات وهي تنضح بالنبل فترجع مفلولة ، وحمل المسلمون عليهم فحمى القتال ـ الشكيم (جمع شكيمة) : وهي حديدة اللجام في فم الفرس .

مكتبتنا العربية

وصاحت (هند [١]) فى الجمع الأثيم تحرض كل شيطان رجيم
ألا بطل يذب عن الحريم ؟ ويضرب بالمهند فى الصميم ؟
فهاجت كل ذات حشى كليم تبث الشجو فى الهذر الذميم
وتذكر (طارقا) دأب المليم يسىء ويدعى [٢] لأب كريم
وأين مكانهن من النعيم ؟ ومن جرثومة الحسب القديم ؟
زعمن الشرك كالدين القويم لهن الويل من خطب عميم

رمى الأبناء وانتظم البعولا

من البطل المعصب [٣] يختلبها [٤] رقابا ما يمل الضرب فيها ؟
بأبيض تتقيه ، ويعتريها وتكره أن تراه ويشتهيها
لها من جده وال يليها وتنتزع الحكومة من ذويها

---

[١] قامت هند زوج أبى سفيان فى النسوة اللاتى معها لما حميت الحرب فأخذن الدفوف يضربن خلف الرجال ويقلن :

ويها بنى عبد الدار • ويها حماة الادبار • ضربا بكل بتار

ثم ينشدن :

نحن بنات طارق • نمشى على النمارق • مشى الفطا النوازق
والمسك فى المفارق • والدر فى المخانق • إن تقبلوا نعانق
ونفرش النمارق • أو تدبروا نفارق • فراق غير وامق

وكان النبى إذا سمع ذلك يقول : « اللهم بك أحول ، وبك أصول ، وفيك أقاتل . حسبى الله ونعم الوكيل » .

[٢] ينتسب .

[٣] أبو دجانة كان له عصابة حمراء يعصب بها رأسه فى الحرب فسميت [عصابة الموت] جعل لا يلقى أحداً إلا قتله بالسيف الذى أخذه من رسول الله ، وكان يشحذه بالحجارة كلما كل ، فما زال يضرب به حتى انحنى وصار كأنه للنجل .

[٤] يجزها أو ينزعها ، تشبيها لها بالخلا الرطب إذا فعل به ذلك .

مكتبتنا العربية

برزت (أبا دجانة) إذ تريها ... وحى الموت [١] تطعمه كريها
صددت عن (السفيهة) [٢] تزدريها ... وتكرم سيفك العف النزيها
تولول الدنية تتقيها ... فإيها يابنة الهيجاء إيها
نجوت ولو رآك له شبيها ... مضى العضب المشطب يقتضيها
حياة مناجز ما يبتغيها ... إذا شهد الكريهة يصطليها
فأرسلها دماً ، وهوى تليلا [٣]

أصدق وصف للمرأة

فى مسند الإمام أحمد من حديث أبى هريرة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تستقيم لك المرأة على خليقة واحدة ، وإن تركها تستمتع بها وفيها عوج » .

---

[١] الوحى : السريع

[٢] هند سمها أبو دجانة تحرض على القتال أشد التحريض فحمل عليها بسيفه يظنها رجلا فولولت فأعرض عنها ، إكراما لسيف رسول الله .

[٣] التليل الصريع .

مكتبتنا العربية

نظرية الدفاع الهجومي

بعد انتصار المسلمين في بدر

كانت هزيمة قريش في بدر ضربة شديدة لكبريائها وعظمتها ، فكان من الطبيعي أن تفكر في الثأر ، وهذا أبو سفيان كبير قريش ، ينذر بعد بدر ألا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً . .

وما كان ذلك ليخفى على محمد رسول الله ﷺ قائد جيش المسلمين ، فلم يلهه النصر عن التفكير في عواقبه ، وكان في تفكيره بصيرا واعيا . . .

فقريش تلك الأمة العربية القديمة ، كانت تعيش — في جاهليتها — عيشة ترضاها كانت قوية الشوكة ، كبيرة المقام بشيوخها وزعمائها ، وبسواعد رجالها الشبان الذين كانوا يردون عنها كل عادية ، ويصدون عنها كل غارة ، ويدفعون عنها كل شر . وكانت سعيدة ترفل في رغد من العيش ، وبسطة من الرزق : تجارتها العظيمة في الشام تأتي لها كل عام بالوفير من موارد الخير ووسائل الحياة ، ثم يجيء رجل منهم من أوساطهم يدعى نبوة ، ويحمل رسالة ، فيقوم بأداء واجبه بالدعوة سرا ثم جهرا ، ويعيب عليهم ما يعبدون من أصنام ، فيقاومونه بشتى وسائل التعذيب فلا يثنى ، ولا يزداد إلا إيمانا بدعوته . ويصدونه عن سبيله بكل ما أوتوا من قوة فلا يرجع ، ولا يزداد إلا إمعانا في رسالته ، حتى إذا ما فشلت محاولاتهم يناصبونه العداء ، ويعبئون رجالهم عليه ويقاتلونه في بدر ، فتكون الدائرة عليهم ، وتنزل بهم الهزيمة على الرغم من قلة رجاله ، وضعف عدده ، بل ويهلك في ذلك خير زعمائهم ، وصفوة رجالهم .

ولم يغفل الرسول أمر يهود المدينة ، فقد كان هذا حالهم أيضا ، وهم قد كانوا من قبل يناهضون المسلمين ، وزادت أحقادهم حين رأوا هذا الأجنبي الذي جاءهم من مكة منذ عامين ، يزداد سلطانا وبأسا حتى ليكاد يكون صاحب الكلمة في أهل المدينة جميعا ، ولولا أنهم عاهدوه ألا يحاربوه لحدث بين اليهود والمسلمين قتال وحوادث جسام .

مكتبتنا العربية

وهكذا خلص محمد من تفكيره ذاك إلى أن موقفه من عداء قريش واليهود أصبح يقتضيه الحذر المستمر ، واليقظة الدائمة ، وأنه من الواجب أن يكون على تمام الاهبة وكامل الاستعداد للقتال فى أية لحظة وفى أى مكان .

والامر الجدير بالملاحظة والتقدير هنا أن محمدا لم يقنع بالوقوف موقف المدافع الذى ينتظر حتى يغير عليه أعداؤه ، فيقوم لدفعهم ، بل استن خطة بارعة فى الدفاع ، بأن يخرج للقاء أعدائه فور علمه بجمعهم له ، وبذلك يتسنى له القضاء عليهم فى عقر دارهم ولما يكمل استعدادهم .

هذه الخطة الحكيمة طبقها النبى ﷺ عدة مرات فى الغزوات القصيرة التى حدثت فى الفترة بين بدر وأحد مثل غزوة بنى سليم ، وغزوة بنى قينقاع ، وغزوة السويق ، وغزوة غطفان ، وغزوة بحران . . .

وهذه الخطة الحكيمة التى وضع أصولها وطبقها قائد جيش الإسلام منذ ثلاثة عشر قرنا هى بعينها نظرية الدفاع الهجوى ، وهى نظرية حديثة تتبعها اليوم جيوش العالم ويلقنها رجالها فى المعاهد العسكرية .

فإن النصر فى الحروب إنما يأتى نتيجة للأعمال الهجومية ، وهى وحدها التى تقرر مصير أحد الفريقين ، وليس الدفاع إلا وسيلة مؤقتة قد يضطر الطرفان لاتباعها لغرض كسب الوقت حتى يتسنى لكل منهما أن يعد عدته لاستئناف الهجوم .

ونظرية الدفاع الهجوى هذه تتلخص فى أن المدافع الذى يضطر لاتخاذ وضع الدفاع يجب عليه ألا يستكين فى مواقفه الدفاعية انتظارا لهجوم عدوه عليه ، بل عليه أن يقوم بحركات هجومية تتصف بروح العدوان تسمى فى العرف العسكرى بالاعمال التعرضية ، ومنها إرسال دوريات القتال عبر الأرض الحرام الواقعة بينه وبين عدوه لمناوشته أو إزعاجه أو قتل بعض رجاله ، أو أخذ بعض أعدائه أسرى أو تدمير شىء من تجهيزاته .

ولنظرية الدفاع الهجوى المزايا الآتية :

١ — إحباط خطط العدو فى مهدها .

٢ — حرمان العدو من ميزة المفاجأة وحرية العمل أو المبادأة كما يطلق عليها فى العرف العسكرى وترجمتها (Initistive)

مكتبتنا العربية

٣ — رفع الروح المعنوية للجنود المدافعين ، لأن الانتظار يورث فى النفوس الملل والضعف ، وتسوء حالة الجند المعنوية بمرور الأيام ، وتقل بذلك رغبتهم فى القتال ، والروح المعنوية فى الدفاع معناها الرغبة فى القتال التى لا تتولد إلا باتباع نظرية الدفاع العدوانى ، وبدون الروح المعنوية قد تفشل أحسن الخطط الدفاعية التى يضعها أكبر القادة حنكة وبراعة .

وهكذا أثبت لنا الرسول الكريم ﷺ أنه قائد عسكرى غير منازع ، ولا أدل على ذلك من أنه خرج لغزوة بنى سليم ولما يمض عليه فى المدينة بعد بدر إلا سبع ليال !

وفى هذه الغزوة خرج بعد أن استعمل سباع بن عرفطة الغفارى على المدينة ، وسار حتى بلغ بئراً تسمى الكدر ، فأقام هناك ثلاث ليال ، ولم يخرج أحد لقتاله لأن بنى سليم لما علموا بخروجه هربوا وتركوا وراءهم خمسمائة بعير غنمها المسلمون وعادوا بها إلى المدينة .

وكانت غزوة السويق بعد شهرين من عودة المسلمين من بدر ، فإن أبا سفيان أراد أن يبر بيمينه الذى أقسم فيه أن يغزو محمداً وألا يمس النساء والطيب حتى يبر بقسمه ، فجمع من قريش مائتى رجل راكبين ، وغادر مكة وسار حتى وصل إلى جبل يقال له (ثيب) بالقرب من المدينة فتوقف وعزم على المبيت فى هذا المكان .

وفى جوف الليل ترك رجاله وسار صوب المدينة حتى دخل حياً من أحياء اليهود لبنى النضير ، وقصد إلى بيت حيي بن أخطب وهو من رؤساء بنى النضير فأوجس حيي من زيارته خيفة فلم يفتح له ، فانصرف وجاء إلى سلام بن مشكم وهو سيد بنى النضير فطرق بابه ففتح له وأكرمه . ثم سأله أبو سفيان عن أخبار المسلمين وسرهم فأجابه .

ورجع أبو سفيان إلى أصحابه بالجبل ، فبعث بعضاً منهم إلى المدينة فحرقوا نخلا كثيراً فى ناحية منها تسمى العريض ، ووجدوا رجلا من الأنصار هو معبد بن عمرو ورجلا آخر حليفاً للأنصار فقتلوهما ثم قفلوا راجعين إلى الجبل .

وسرعان ما ذاع الخبر فى سائر المدينة وبلغ رسول الله ﷺ فجمع مائتين من المهاجرين والأنصار وخرج على رأسهم ، وكان ذلك فى الخامس من ذى الحجة قاصدا أبا سفيان . .

ولما أحس أبو سفيان بخروج المسلمين لاذ بالفرار بعد أن خفف من أحماله حتى يمكنه

مكتبتنا العربية

الفرار بسرعة . وكان أكثر ما تركه طعاما يسمى السويق [١] وبذلك سميت الغزوة (غزوة السويق) ، أما المسلمون فقد غنموا ما ترك أبو سفيان وعادوا إلى المدينة .

وفى الثانى عشر من ربيع الاول سنة ثلاث من الهجرة علم الرسول ﷺ أن بنى ثعلبة ومحارب اتفقوا على الإغارة عليه بقيادة غورث بن الحارث ، فجمع من المسلمين ٤٥٠ رجلا وخرج إليهم ، فلما سمعوا بمجيئه هربوا فى رءوس الجبال . . . فعاد الرسول وكانت تلك الغزوة غزوة عطفان .

وفى السادس من جمادى الاولى من نفس السنة اتفق جمع من بنى سليم على شن غارة على المدينة ، فاجتمعوا فى بحران لهذا الغرض ، فبلغ ذلك الرسول عليه السلام فجمع ثلاثمائة من أصحابه ، وسار مسرعا حتى بلغ بحران ، وكان قبل وصوله إليها لقى رجلا منهم وأخبره أن القوم قد تفرقوا فحبسه النبى حتى يتبين صحة قوله ، فلما وصل إلى بحران وجدهم قد تفرقوا لما شعروا بخروجه فأطلق الرجل ، وعاد إلى المدينة فى السادس عشر من نفس الشهر ، وسميت تلك الغزوه غزوة بحران .

هذه الغزوات ، وإن كانت صغيرة ولم يحدث فيها قتال ، إلا أنها دليل واضح على أن النبى صلى الله عليه وسلم كان مستعدا فى كل لحظة للخروج للقتال ، وهو فى هذه الغزوات قد خرج فعلا ، أما أنه لم يقاتل أحداً فلأن من خرج لقتالهم هربوا .

تلك نظرية الدفاع الهجومى بأجلى معانيها ، فلا يسلم المدافع بحرية التصرف والمفاجأة لعدوه ، وإنما يخرج له ، ويفسد خطته وهى فى المهد ، وبذلك يحافظ على هيبته ويرفع الروح المعنوية لرجاله المدافعين .

محمد جمال الدين محفوظ

يوزباشى أركان حرب

---

[١] السويق . هو أن تحمص الحنطة أو الشعير ثم تطحن ، وتؤخذ فى السفر وعند استعمالها تمزج باللبن والعسل والسمن أو الماء وهى تشبه ما نسميه [الفريك] .

مكتبتنا العربية

العالم في ظلال المذاهب البشرية

تدخلت الأديان السماوية في كل شأن من شئون الفرد لذاته ، وباعتباره عضوا في الجماعة الإنسانية ، وفي كل شأن من شئون الدنيا والآخرة ، كما تدخلت في شئون الجماعات ونظمت هذا التدخل في صورة شرائع من عقائد وعبادات ومعاملات وآداب وأخلاق ، ولاحظت استعداد الجماعات لهذه الشرائع فتدرجت بها في التكاليف كما يتدرج المربي الماهر في تربية الناشئة وتأديبهم وأخذهم في كل مرحلة بما يطيقون ، وتوافقت جميع الأديان على ذلك ، فلم يمتحن رسول من الرسل أمته بما يعلو عن مداركها ، ويخفى على عقولها وجه الحكمة والرشاد فيه ، وإذا تعرضت الأديان لما لابد من التعرض له مما يعجز العقل عن استكناهه والوصول إلى حقيقته تجلى فيها الرفق والرحمة بهذا العقل الضعيف ، فإذا عرضت للآخرة والجنة والنار والحساب ، وحال الموتى في قبورهم وكيفية البعث وما إلى ذلك طلبت إلينا أن نصدق بذلك إجمالا وأعفتنا عن التفاصيل ، فالعقل البشري أعجز من أن يستبطن أسرارها ويدرك أغوارها ، وإذا اقتحم ذلك عرض له الشك والإنكار ، وتاه في عباب من الحقائق لا يصل إلى شاطىء السلامة فيه .

ذلك شأن الأديان عامة مع بني الإنسان ، وما يجده الإنسان أحياناً من معميات وطلسمات وطقوس في العقائد والعبادات يباهي بمعرفتها طائفة من الناس ، فليس ذلك من حقائق الأديان في شيء ، بل هي أصداء تراكمت فوقها على مر العصور ، وفي غفلة من أولى الأمر لأغراض دنيوية زائلة سيتولى الله جزاء مقترفيها كما قال تعالى : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » .

وكان خاتمة الأديان الدين الإسلامي ، فقد أكمل الله به الأديان السابقة ، واستوفى حاجات البشرية عامة ونظم شئون الأفراد والجماعات وعلاقاتهم بالله وبالناس تنظيما دقيقاً واضحاً يكفل لهم الاستقرار والرضا والطمأنينة والسعادة ما استقاموا عليه ولم يكلهم إلى أنفسهم ، فمن وكل إلى نفسه تضافرت عليه عوامل الهم والقلق والعذاب النفسي ، فيضطرب

مكتبتنا العربية

عقله ويختل تفكيره ويضعف إنتاجه ، وتضطرب لذلك شئون الجماعة وتسودها الفوضى ، ولا تستطيع أن تصل إلى غاية من غايات الإنسانية الرشيدة .

ولقد جاءت الأديان بأصول العقائد والآداب والأخلاق والعبادات لتطهر النفوس وتربط الأفراد بعضهم ببعض ، وتربط الجماعات كذلك ، وإن اختلفت أديانهم بأسباب المحبة والتعاون ، فلا يطمع قوى فى ضعيف ، ولا يبغى حاكم على محكوم ، ولا يفضل جنس جنسا ، يسير الجميع فى ظلال هذه التعاليم إلى غايتهم ، فالأديان مستقر السكينة ومهبط الطمأنينة ، وهى القوانين الصالحة لسياسة الجماعات تعصمها من الزيغ والضلال .

وقد عاشت أكثر الأمم فى ظلال الأديان السماوية قرونا طويلة رخية العيش ناعمة البال تسعى إلى شئون الحياة فى قناعة ورضا ، يرضى أفرادها بما قدر لهم من رزق ، ويقنع كل بما يسر له فيشكر الغنى ويرضى الفقير .

فالأديان وبخاصة الدين الإسلامى تقوى فى الفرد نوازع الخير والحق والعدل والفضيلة والقيام بالواجب ومراقبة النفس واحترام حقوق الغير والتضحية والتعاون على البر التقوى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وتحول بينه وبين الارتكاس فى الآثام والمنكرات ، وتشد فيه عزيمة التضحية والدفاع عن الوطن ، وتصرفه عن حياة العبث والمجون إلى حياة الجد والوقار .

وظلت الأديان قوانين الأمم المقدسة ودساتيرها المحترمة : يزن الأشخاص أعمالهم بموازينها ، ولا يعترفون بغيرها ولا يرون السعادة إلا فى ظلالها ، وظلت علاقات الأفراد بعضهم ببعض وعلاقات الجماعات علاقة سلم وتواد واحترام ، لا علاقة تحاسد وتباغض وانتقام . وكانت حياة الأمم فى ظلال الأديان حياة سهلة رتيبة فى كل شأن من شئونها السياسية والقضائية والإدارية والاجتماعية والمعاشية ، ولم يكن فيها هذه الإدارات المتعددة ولا هذه القوانين المتلاحقة المتزاحمة التى لا تكاد تصدر حتى يلاحقها النسخ والتعديل والتنسيق والتحوير ، فقد كان يقوم مقام ذلك الضمير الحى الطاهر الذى يزع النفوس عن مزالق المطامع والأهواء ، ويعصمها عن مهاوى الفسق والفجور والطغيان والظلم . وإذا استيقظ فى الإنسان ضميره وصفت نفسه فلن يصدر عنه إلا ما هو خير لنفسه ولجماعته .

وفى أواخر القرن التاسع عشر وطوال هذه الحقبة من القرن العشرين وتحت تأثير

مكتبتنا العربية

عوامل مختلفة من الثقافة والاقتصاد واشتداد الظلم والاضطهاد فى بعض البلاد اشتدت الدعوة إلى التحلل من الأديان بدعوى أنها عوائق فى طريق تقدم الرقى الإنسانى ، وأنها كانت دعوات إصلاحية مؤقتة استنفدت أغراضها ، وأنها لم تعد تلائم العصر ولا تساعد على التقدم الذى تنشده البشرية . والنفس البشرية أمارة بالسوء ، والتكاليف الدينية قيود لها ، سرعان ما تحاول التفلت منها إن دعا إلى ذلك داعى الهوى والشيطان . وقد استجاب لهذه الدعوة ذوو النفوس الضعيفة وتهافتوا عليها كما يتهافت الفراش على النار .

وقد كان القائمون على تلك الدعوات ذوى مكر ودهاء : فنشطوا فيها ، وتسلحوا لها بأخطر الأسلحة ، وتوسلوا إليها بوسائل تتصل بعواطف الناس وأطماعهم ، وزخرفوها بأغشية براقة خلابة ، فجعلت تلك الدعوات تشتد ويكثر أشياعها حتى اكتسحت العالم ونجحت فى بعض الشعوب نجاحا كاملا ، كما نجحت فى الشعوب الأخرى بنسب مختلفة ، وما زالت تجد وتجد حتى زحزحت القيم الدينية عن منزلة القداسة فى نفوس الناس إلى الموضع الذى أرادوه لها ، وأحالوهم فى مجموعهم إلى أنواع من الجماعات لها صور الأناسى وسماتهم وليس لها نفوسهم وعقولهم ، ينظرون إلى الأمور بعين الهوى والمصلحة واللذة العاجلة ، وما الفاصل بين الإنسان والحيوان إلا ما يمتاز به من القيم الروحية والأخلاقية .

وإن من المغالطة والتغاضى عن الواقع أن يزعم زاعم أن الشعوب ما تزال على شىء من التدين إن لم يبلغ حد الكمال فهو تدين على كل حال ، لأن الواقع أن كثيراً من شعوب العالم قد كفرت بالأديان وبتعاليمها ، وظل بعضها مستمسكا بمراسم الأديان ومظاهرها دون حقائقها وجواهرها ، ومن التسامح أن يسمى ذلك تدينا . فليس التدين رسوما ومظاهر وإنما هو إيمان يخالط النفوس وتبدو آثاره فى الواقع أعمالا نافعة ، وفضائل حميدة ، ومراقبة لله فى كل شأن من الشئون .

تلك هى المرحلة الأولى التى قطعها دعاة الإلحاد ، أما المرحلة الثانية ، فهى أنهم حاولوا أن يسدوا الفراغ الذى أحدثوه بنجاحهم فى الدعوة إلى التحلل من الأديان ، فأرادوا أن يضعوا نظما تقوم مقام الأديان ، والأديان مجموعة من النظم والقوانين الإلهية سياسية واقتصادية وإدارية وقضائية وغيرها ساس الله بها البشر ، وأنقذهم من أواصر الأوهام والخرافات ، وحمل تبليغها عن الله ، ملائكة أصفياء ورسل أوفياء ، فبلغوها من حضرهم ، ووصلت إلى من بعدهم بالطرق الموثوق بها من العلماء - وكان الفراغ كبيراً فاعتصروا

مكتبتنا العربية

عقولهم فى وضع القوانين التى تحل محل الأديان فى النواحى التى أشرنا إليها ، وتقود العالم إلى الكمال ، وتفرقوا شيعاً وأحزابا : فجماعة شيوعية ، وثانية اشتراكية ، وثالثة ديمقراطية ، ورابعة نازية ، وخامسة وسادسة إلى جماعات كثيرة مما نعرف وما لا نعرف ، هدف الجميع واحد هو إسعاد البشرية وإن اختلفت وسائلهم ، وتركز اهتمامهم فى الناحية الاقتصادية ظنا منهم أن المادة هى سبيل السعادة ، وأن ارتفاع مستوى المعيشة وإلغاء الفوارق بين الطبقات كفيل بالقضاء على أسباب الشر والقلق فى العالم .

وقد وضعوا النظم والقوانين التى حسبوها تسد الفراغ الذى أحدثوه برفضهم للقوانين الدينية : وضعوا نظما اقتصادية واجتماعية وسياسية إقليمية وعالمية ، فأسفر التطبيق عن الفرق بين قوانين الخالق وقوانين الخلق ، أسفر التطبيق عن فشل هذه القوانين فى الوصول إلى الغايات التى قدروها ، فبعد قرابة نحو قرن فى تجارب القوانين البشرية ، نرى العالم قد استحالت حاله ، وخابت فى قادته آماله ، ومل العيش به نساؤه ورجاله . ونرى السعادة التى كانت تسوده فى ظلال الأديان قد خبا نورها وذهبت بهجتها ، وأصبحت الحياة كالحة عابسة تنقبض لها الصدور ، وتضيق بها النفوس ، وعمت الشكوى وتفاقمت البلوى ، وأنى توجهت ألفيت نيرانا مستعرة ، ومشاكل مستعصية ، ومظالم ليس لها من دافع ، وحقوقا مضيعة ليس لها من ولى ولا ناصر ، وساد قانون القوة كل شىء ، وفتن العالم بالمادة فصارت معبوده المطاع ، يخضع لسلطانها فى سائر شئونه ، وكفر بالأخلاق والآداب والمثل العليا للإنسانية الراشدة . وأفلس كل ما وضع من قوانين لإصلاح العالم كما زعموا وقدروا .

أفلست قوانين السياسة ففقدت الثقة بين الأمم ، واستحكم فيها سوء الظن ، وتربصت كل بالأخرى ، وانصرف نشاط الأمم واقتصادها إلى الإعداد الحربى ، واستنفدت ميزانيات الحروب أكثر ميزانياتها ، وانكمشت أبواب المشروعات الإنتاجية والإصلاحية ، وانخفض مستوى المعيشة ، وثقلت الحياة على الأفراد فى كثير من الأمم ، وتجاوبت أصداء الشكوى فى بقاع العالم . وأفلست قوانين الاقتصاد ، وعم الكساد ، وأدرك الناس زمان صار الغذاء فيه بالأوقيات والدراهم ، وتهددت المجاعات شعوبا بالفناء رغم أن الناحية الاقتصادية هى التى تركزت فيها جهود العلماء وأفكار المصلحين . وأفلست قوانين القضاء والإدارة فكثرت الجرائم وافتن المجرمون فيها وأصبحوا لا يبالون بقانون ولا يرهبون العقاب ، وطمع الناس بعضهم فى بعض واعتدى بعضهم على حقوق الآخرين ، وغصت المحاكم بالقضايا

مكتبتنا العربية

والمتقاضين والمدافعين ، وتعددت جماعات الشرط وتنوعت اختصاصاتها وما أغنى ذلك شيئا وما وقى من شر وما دفع من ضر . فقد أولع الناس بالخصومات إذا اضطربت أعصابهم وضاقت بهم سبل العيش حتى هانت عليهم نفوسهم وشاع الانتحار فيهم . وأفلست قوانين الأخلاق . وإن أشد ما يعانيه العالم اليوم هو الفوضى الخلقية التى فشت فى جميع النواحى فقد تمزقت أثواب الحياء والعفة فى النساء والرجال ، وبدت عوراتهم الخلقية كما بدت عوراتهم الجسمية تؤذى العيون وتصك الأسماع ، وتردى كثير من الأمم فيما يشبه الإباحية الحيوانية ، وقد ألبست هذه الإباحية أثوابا براقة من المدنية والرقى والذوق واللياقة وما إلى ذلك من الفاظ ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب ، وفسدت الذمم والضمائر ، وغاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت مسافة الخلف بين القول والعمل ، فلا اعتداد بين الناس بالعهود والمواثيق إلا أن يساقوا إلى ذلك بسياط القانون والقوة ، وأولع الناس بالمال يجمعونه من وجوهه المشروعة وغير المشروعة ، وأصبح الغش فى الصناعة والتجارة مهارة ، والصدق والأمانة خيبة وخسارة . ويضيق المقام عن الاسترسال فى تصوير ما يعانيه العالم من بؤس وشقاء وبلاء وعناء ، ونكتفى بهذه الصورة الموجزة ، وإنها لصورة قاتمة الظلال كالحة الألوان ، قد يتهمنى بعض الناس بالغلو فى تصويرها والخطأ فى اختيار ألوانها ، ولكنها فيما أرى صورة صادقة انتزعت ألوانها من واقع الأمور فى الشعوب ، يراها المنصف بالعين المجردة دون معاناة أو تعب ، وها هى ذى صحف العالم ومذياعاته . وكلاهما مرآة الأمم فى هذا العصر - فليقرأها وليستمع إليها من شاء ، ولن يقرأ ولن يسمع فى جميع أنحاء العالم إلا أحاديث عن مشاكل يأخذ بعضها برقاب بعض ، وكلما عولجت مشكلة بدت أخرى أشد استعصاء على الحل من سابقتها حتى كاد زعماء العلماء يستيئسون من الإصلاح والعلاج .

وبالأمس القريب خطب زعيم من أكبر زعماء العالم ، فقال : إن العالم يعيش الآن فى حالة من الارتباك المزعج ، ومن الصعب أن تجد فى أى جزء من العالم جماعة من الأقوام لاتحاول العمل على مناوأة جماعة أخرى ، ولقد فكر جماعة من ساسة العالم وقادته فى أن يصلحوا من شئون العالم وينتشلوه من وهدته وينهضوه من كبوته ويعيدوا إليه ما فقده من أمن وطمأنينة ، واجتمعت آراؤهم على تأليف جماعة دولية تنظر فى مشاكله وتصف ما تراه من علاج ، فألفت جماعة ثم جماعة تعلقت بهما آمال العالم ، وأضاءوا الشموع لمولدها

مكتبتنا العربية

ولكنها قضت نحبها قبل أن تنقضى هذه الشموع ، وكان الحزن فى ساعة الموت أضعاف السرور فى ساعة الميلاد ، وإنما فشلت هذه الجماعات لأن نجاحها كان يستدعى عنصرين مهمين : هما الإخلاص ، والتطبيق العملى من القائمين عليها ، ولم يتوافر لها ذلك ، وظل العالم على حالة من القلق والانزعاج تتزايد يوما فيوما وعاما فعاما . كالغريق تتقاذفه الأمواج فى سواء البحر ، وتنقطع به أسباب الرجاء ولا منقذ ولا مجير .

قد يعجب بعض الناس للحالة التى صار اليها العالم ويقول : كيف ذلك والعلم يطير إلى الكمال بجناحين حتى سمى عصرنا عصر العلم والسرعة ولا تكاد تنقضى للعلم دهشة من مخترع عجيب حتى تفجأه دهشة أخرى تكاد تذهله عن وجوده ، فلماذا لم يحقق العلم للعالم أحلامه فى الأمن والرخاء والسلام ، وقد ينقضى عجبه إذا علم أن العالم قد تقدم بالعلم حقيقة ، ولكن فى الناحية التى تتصل بغرائز الإنسان الحيوانية ، وهى غرائز البطش والقوة والمتاع الحسى ، تقدم فى صناعة الدبابات والطيارات وصناعة السينما والراديو والكهرباء والتلفزيون ، واكتشف للناس أنواعا لا تحصى من الأدوية تقى الناس شرور الأمراض وتعالجهم منها واكتشف لهم المخصبات الزراعية المختلفة إلى مكتشفات كثيرة تتصل بشئون حياتهم المادية ، وما زال العلم يجد ويدأب ويظفر فى كل يوم بجديد مفيد ، إلا أن العلم مع اهتمامه بالناحية المادية أهمل الناحية الإنسانية والمعنوية فى الإنسان كالإيثار والرحمة والتعاون والتضحية واحترام الحقوق ولم يعرها اهتمامه فرجع العالم فيها القهقرى ، وأصبح الإنسان قاسى القلب غليظ الوجدان ، وتحكمت المادة فى كل تصرف من تصرفاته خوف الفقر والحذر من المستقبل فتضاعفت عليه همومه وتنغصت حياته مع توافر أسباب السعادة المادية من حوله .

لقد كان تقدم العلوم فى الناحية المادية ، وجمودها فى النواحى الخلقية والروحية سبباً من أسباب الشقاء الذى يعانيه العالم ، إذ فتح عليه تقدمه فى الناحية المادية أبوابا من الشر يحاول جاهداً أن يتفاداها ، وأصبح أبغض شىء إلى نفوس الناس هذا النوع من العلم الذى يرتاع لذكر تفاصيله وآثاره حين تدعو ضروره الحرب إلى تطبيقه واستعماله ، والعلم الذى كان مناط الرجاء فى إصلاح العالم وإسعاده غدا من أهم أسباب الشقاء الذى يعانيه ، والعالم الآن يعانى ألوانا من الآلام الجسمية والنفسية لاعهد له بمثلها فى عصور التاريخ .

لقد تحدث أحد علماء الذرة فقال : « إن العالم يجتاز طريقا قد يؤدى إلى القضاء على المدنية ، والكوكب الذى نعيش عليه قد يصبح قريباً جزءاً من الجحيم ، مالم نتخير الطريقة

مكتبتنا العربية

المؤدية إلى الحياة فيه ، وإنى واثق أننا لم نصل بعد إلى هذا الحد . ثم قال : إن فى متناول البشرية الآن وسائل الاستئصال الجنسى البشرى » .

لقد أفلست المذاهب البشرية إذن فى تخفيف آلام العالم وطمأنينته وقيادته إلى ذرى العز والمجد والسعادة ، ووصل العالم بهذه المذاهب إلى ما وصفنا ، وقد شغل ذلك قادته وزعماءه ومفكريه . ورأى كثير منهم أن لاسبيل إلى ما ينشد العالم من استقرار واطمئنان إلا أن يستهدى بهداية الأديان ، فالأديان وحدها هى التى استكملت المقومات الضرورية لسعادة العالم وصلاحه وأمنه واطمئنانه ، وهى التى قدرت نواحى النفس الإنسانية العقلية والوجدانية ، والعاطفية والمادية فوضعت لكل ناحية مقتضياتها من المبادىء والتعليم ، وما أفلست المذاهب البشرية إلا لعنايتها ببعض ذلك دون بعض .

لقد نشطت الدعوة إلى الأديان فى كثير من الشعوب ، وتجاوبت أصداء الدعاة إليها من رجال الدين والسياسة والاجتماع ، وأخذ اعتقادهم يزداد شيئاً فشيئاً بأنه لا صلاح للعالم ولا علاج له من علله التى ألحت عليه إلا بتعاليم الدين ، ولم تقتصر هذه الدعوة على هؤلاء بل نشطت فى البيئات الفنية والأدبية ، حتى ما كان يظن أنها أبعد الناس عن الأديان وأزهدهم فيها ، فقد اتجهت الروايات السينمائية إلى الموضوعات الدينية وأخذت تستلهمها فى كثير من موضوعاتها ، وقد أغرى نجاح الروايات الدينية مؤلفى تلك الروايات إلى العناية بالموضوعات الدينية وازدياد الاقتباس منها وأخذ المتتبع لتلك الحركة يشعر بحسن أثر ذلك الاتجاه وحسن نتائجه فى أخلاق العامة وسلوكهم ، وأخذ كثير من الأدباء ممن كادت تفتنهم المدنيات المعاصرة وتوقعهم فى مزالق الشكوك والريب يؤمن بضرورة دعوة الشعوب إلى الأديان كوسيلة من وسائل الإصلاح فنشطوا إلى التأليف فى الحوادث الدينية التاريخية التى كان لها أثر فى تاريخ الشعوب وفى سير أبطالها ، ولاقت مؤلفاتهم رواجا زاد من نشاطهم ومجهوداتهم . والمتتبع للحركات الفكرية فى العالم بوجه عام يلاحظ اهتماما بالأديان والمباحث الدينية وانتعاش الروح الدينية فى كثير من الأمم ، وإذا قدر لهذه الحركات أن تسير قدما فى طريقها فستصل الشعوب إلى غايتها المنشودة فى الاستقرار والرخاء والسلام . فالأديان بما انطوت عليه من أسباب ذلك سبيل السعادة ، ولن تسعد الشعوب إلا إذا استنارت بنورها فى ظلمات الحياة ؟

أبو الوفا مصطفى المراغى
مدير المكتبة الأزهرية

مكتبتنا العربية

الرباط فى الإسلام

١ — مناسبة البحث :

نحن فى عصر مكافح نجاهد ، تألب علينا فيه قوى الشر والبغى من كل جهة ، ونحتاج فيه إلى إعداد ما يستطاع لرد العدوان والخلاص من الطغيان ؛ والعدة قد تكون حسية كالمدفع والطائرة ، وقد تكون معنوية كالإيمان والشجاعة ؛ ومن أقوى الأسلحة المعنوية وأمضاها ، إحياء روح الجهاد والتضحية فى نفوس الجماهير ، والتذكير بمبادىء الثبات والإقدام ، وعرض الصور الرائعة للبطولات الخالدة ، والتنبيه على الأصول الحية التى تتكون منها العقيدة الثابتة ، والتى لها اتصال بناحية الحرية وإباء الضيم والتحريض على الاستجابة لكريم التعاليم والتوجيهات التى تحث على الإعداد والاستعداد ، بالعدد والأعداد .

ولمحاولة المشاركة فى هذا المقصد نتحدث عن الرباط فى التنزيل المجيد ، مصورين ما هو الرباط أولا ، وعارضين مواطن استعمال القرآن الكريم لكلمة « الرباط » ثانيا ، ومشيرين إلى المعنى العام المشترك لهذا الاستعمال ثالثا .

٢ — الرباط فى اللغة :

ونبدأ أولا باستنباء اللغة عن « الرباط » : ما هى مادته ؟ وما معناه ؟ وما هى ألوان الحقيقة والمجاز فيه ؟ تكلم القاموس المحيط عن مادة (ربط) فذكر وجوها من معانيها واستعمالاتها ، ومما قاله : « ربطه يربطه ويربُطه شده فهو مربوط وربيط ، والرباط ما ربط به جمعه ربط ، والفؤاد ، والمواظبة على الأمر . وملازمة ثغر العدو كالمرابطة . والخيل أو الخمس منها فما فوقها . وواحد الرباطات المبقية ، أو المرابطة أن يربط كل من الفريقين خيولهم فى ثغرة ، وكل معد لصاحبه . فسمى المقام فى الثغر رباطاً . والربيط الراهب والزاهد والحكيم ، ظلف نفسه عن الدنيا كالرابط فى الثلاث » (١) .

(١) والربيط أيضا لقب الفوث بن مر بن طابخة ، لان أمه كانت لا يعيش لها ولد ، فنذرت أن عاش هذا لتربطن برأسه صوفة ، ولتجعلنه ربيط الكعبة ، فعاش ففعلت وجعلته خادما للبيت حتى بلغ فنزعته ، فلقب الربيط [القاموس] وهناك ربيط بنى إسرائيل الذى قال : زين الحكيم الصمت ، وهو زاهدهم وحكيمهم الذى ربط نفسه عن الدنيا أى شدها ومنعها [النهاية] .

مكتبتنا العربية

وجاء الزمخشرى فى (أساس البلاغة) فبين الأصل فى المرابطة فقال : « ورابط الجيش أقام فى الثغر ، والاصل أن يربط هؤلاء وهؤلاء خيلهم ، ثم سمى الإقامة فى الثغر مرابطة ورباطا ، والغزاة فى مرابطهم ومرابطاتهم وهى موضع المرابطة ، ووقف ماله على المرابطة وهى الجماعة التى رابطت ، ومنهم : اللهم انصر جيوش المسلمين ومرابطاتهم ، ومن المجاز ربط الله على قلبه : صبره » .

وفسر النووى فى (تهذيب الأسماء واللغات) رباطة الجأش فقال : « وفلان رابط الجأش وربيط الجأش أى شديد القلب ، قال الجوهرى : كأنه يربط نفسه عن الفرار » .

وتعرض ابن الأثير فى (النهاية) للمادة ، وأراد أن يبين العلاقة بين استعمالها اللغوى واستعمالها النبوى حينما سئل الرسول عن أفضل الأعمال فقال : « إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط » . الرباط فى الأصل الإقامة على جهاد العدو بالحرب وارتباط الخيل وإعدادها ، فشبه به ما ذكر من الأفعال الصالحة والعبادة . أى أن المواظبة على الطهارة والصلاة والعبادة كالجهاد فى سبيل الله ؛ فيكون الرباط مصدر رابطت أى لازمت .

وقيل : الرباط ها هنا اسم لما يربط به الشىء أى يشد ، يعنى أن هذه الخلال تربط صاحبها عن المعاصى وتكفه عن المحارم .

وتعرض الأصفهانى فى (مفردات القرآن) للمرابطة بلونيها الحسى والمعنوى فقال : « . . . فالمرابطة ضربان : مرابطة فى ثغور المسلمين ، وهى كمرابطة النفس البدن ، فإنها كمن أقيم فى ثغر ، وفوض إليه مراعاته ، فيحتاج أن يراعيه غير مخل به ، وذلك كالمجاهدة ، وقد قال عليه السلام : « من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة ؛ وفلان رابط الجأش إذا قوى قلبه » .

٣ — فضل الرباط فى الحديث النبوى :

وردت أحاديث كثيرة فى فضل الرباط والحث عليه ، وإذا تذكرنا أن الرباط لون من ألوان الجهاد عرفنا أن كل تمجيد للجهاد فى السنة يعد تمجيداً للرباط ، وقد استفاضت السنة المحمدية بأحاديث الجهاد مما يحتاج إلى مؤلفات لا مقالات : ومن أحاديث الرباط الحديث المتفق عليه : « رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط

مكتبتنا العربية

أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها . والروحة يروحها العبد أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها » . وعن عثمان بن عفان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « رباط يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل » . وعن سلمان الفارسى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله ، وأجرى عليه رزقه وأمن الفتّان » (الشيطان) . وعن عثمان بن عفان قال . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « حرس ليلة فى سبيل الله أفضل من ألف ليلة بقيام ليلها وصيام نهارها » . وعن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله » . وعن فضالة بن عبيد أن الرسول قال : « كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فى سبيل الله ، فإنه ينمو عمله إلى يوم القيامة ، ويؤمن من فتان القبر » .

٤ — الرباط عند الفقهاء :

تطلق كلمة الرباط - كما فهمنا - عند علماء الإسلام على إقامة المجاهدين على الحدود وفى ثغور البلاد ومداخلها ، لحراستها والدفاع عنها ، وهم أثناء ذلك يقومون بربط خيولهم وخدمتها ، ويسمون بالمرابطين ، وهذا الرباط فرض كفاية ، إذا قام به البعض وكفوا سقط عن الباقين فرضا ، وإن استحسنه الإسلام وحث عليه فى كل زمن قدرة ، ولكن إذا هاجم العدو أرض المسلمين وتعرضت كلمة الإسلام للخطر وجب النفير العام على كل مستطيع . وتحديد وقته ومدته يخضع للظروف والملابسات .

وجاء فى كتاب (المغنى) لابن قدامة [1] : « فإن الرباط يقل ويكثر ، فكل مدة أقامها بنية الرباط فهو رباط ، قل أو كثر ، ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم : (رباط يوم ، ورباط ليلة) . قال أحمد : يوم رباط ، وليلة رباط ، وساعة رباط . وقال عن أبى هريرة : ومن رابط يوما فى سبيل الله كتب له أجر الصائم القائم ، ومن زاد زاده الله . وروى سعيد بن منصور بإسناده عن عطاء الخراسانى عن أبى هريرة : رباط يوم فى سبيل الله أحب إلى من أن أوافق ليلة القدر فى أحد المسجدين ، مسجد الحرام أو مسجد رسول الله

[1] المجلة - الامام موفق الدين ابن قدامة من كبار علماء فلسطين زمن الحروب الصليبية . هاجر إلى دمشق هو وأسرته ، واشترك فى محاربة الصليبيين هو وأخوه الأكبر الشيخ أبو عمر وتلاميذهم وكان لهم خيام فى معسكر صلاح الدين فى حملات الحروب الصليبية وفتح بيت المقدس ومعركة حطين .

مكتبتنا العربية

صلى الله عليه وسلم ، ومن رابط أربعين يوما فقد استكمل الرباط ، وتمام الرباط أربعون يوما ، روى ذلك عن أبي هريرة وابن عمر ، وقد ذكرنا خبر أبي هريرة . وروى أبو الشيخ في كتاب الثواب بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : تمام الرباط أربعون يوما . وروى عن نافع عن ابن عمر أنه قدم على عمر بن الخطاب من الرباط ، فقال له : كم رابطت ؟ قال : ثلاثين يوما . قال : عزمت عليك إلا رجعت حتى تتمها أربعين يوما ؛ وإن رابط أكثر فله أجره كما قال أبو هريرة : « ومن زاد زاده الله »[1] اهـ .

٥ — الرباط في القرآن الكريم :

وقد ذكر « الرباط » و « الربط » في التنزيل المجيد في خمسة مواضع ، اثنان منها وردت فيهما المادة بصيغة الأمر وهما قوله تعالى في سورة آل عمران : « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » آية ٢٠٠ . وقوله في سورة الأنفال : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » آية ٦٠ .

والثلاثة الباقية وردت فيها المادة بصيغة الإخبار وبمعنى الشد والتثبيت ، وهي قوله تعالى في سورة الأنفال : « وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » ١١ . وقوله في سورة الكهف « وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض » آية ١٤ . وقوله في سورة القصص : « إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين » آية ١٠ .

ويلاحظ مع التأمل وشيء من التعميم المعنوي أن استعمالات القرآن الكريم لمادة « الربط » يشملها معنى واحد عام ، هو ما يفيد الشد والتماسك ، سواء أكان هذا التماسك ملموساً محساً كما في الأشياء المادية الظاهرة . أم كان معقولا مدركا كما في الأمور العقلية المعنوية ؛ ففي الآية الأولى نسمع الحق تبارك وتعالى يقول : « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » . والمعنى : يا من صدقوا الله ورسوله وآمنوا بهما وبأمرهما ، اصبروا على التكاليف ، واحتملوا المصائب والمتاعب ، واصبروا على طاعة الله والزموها ، واصبروا عن معاصيه وابتعدوا منها ، وصابروا أي عاهدوا أعداءكم واصبروا في جهادهم كما يصبرون في جهادكم وعداوتكم ، ورابطوا الكفار في سبيل الله ، بأن تعدوا لهم من رباط الخيل ما يكون كفاء ما أعدوا لكم ورابطوا .

---

[1] المغني ج ١٠ ص ٣٧٦ طبعة المنار .

مكتبتنا العربية

وعبارة الزمخشرى فى كشافه : « (اصبروا على الدين وتكاليفه (وصابروا) أعداء الله فى الجهاد ، أى غالبوهم فى الصبر على شدائد الحرب ، ولا تكونوا أقل صبراً منهم وثباتا ، والمصابرة باب من الصبر ، وذكر بعد الصبر على مايجب الصبر عليه تخصيصاً لشدته وصعوبته (ورابطوا) وأقيموا فى الثغور مرابطين خيلكم فيها ، مترصدين مستعدين للغزو » .

وهذه الآية شاملة جامعة لأنواع الاوامر تكليفا ونهيا ، لأن الصبر يشمل لزوم الفرائض والعبادات ، مع اجتناب المنهيات والمحرمات ، والمصابرة تشمل مجاهدة الغير من الإنس والجن والنفس ، والرباط يدخل فيه الجهاد فى سبيل الله والدفاع عن وطن الإسلام وجماعته والدفاع عن الملة . ثم تأتى تقوى الله فتفيد تعميم الانتهاء عن جميع المناكر والائتمار بجميع الأوامر ، فيكون من وراء ذلك كله النجاح والفلاح [1] .

والمرابطة هنا تفيد المعنى العام للمادة وهو الشد والتماسك ، لأن المسلمين لا يستطيعون مجاهدة أعدائهم متفرقين ، ولا يستطيعونها متراخين أو مستكينين ، بل لا بد لهم من أن يشدوا شدة القوى ، وأن يتماسكوا تماسك المجتمعين المتعاونين ... ولذلك جاء فى التنزيل : « قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد » ، « واجعل لى وزيراً من أهلى ، هارون أخى ، اشدد به أزرى » ، « وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » ، « حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق » ، « قال لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » ، « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » ... الخ . وجاء أيضاً : « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا » ، « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى » ، « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » ، « فاستمسك بالذى أوحى إليك » الخ .

وفى الآية الثانية نسمعه سبحانه يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لاتعلمونهم ، الله يعلمهم ، وماتنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » .

فالله يأمر عباده فى الآية الكريمة بأن يهيئوا جميع الوسائل والأسباب التى تجعلهم فى قوة ومنعة وشدة ، وأن يبذلوا فى سبيل ذلك كل ممكن وكل مستطاع ، وأن يحرسوا حدودهم

---

[1] انظر تفسير مجمع البيان .

مكتبتنا العربية

ومداخلهم وثغورهم بقوات الفرسان المدرية الفتية الشديدة ، حتى تكون تلك القوات جيشا مستعدا دائما للدفاع وصد هجمات الأعداء ؛ وما أبلغ الآية حين تستعمل كلمة « القوة » الشاملة لأنواع من السلاح وألوان من العتاد والإعداد ؛ وما أبلغها حين تشير إلى الأعداء المعلومين لله وللناس ، والأعداء المجهولة من الناس المعلومة من الله ... إذن فالاستعداد يجب أن يكون على غايته ، وفى كل وقت ومكان ، وبكل حيلة ووسيلة ، لأن الأعداء ظاهرون وباطنون ، ومعلومون ومجهولون ، وحاضرون وغائبون ؛ « ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

ومن الجلى الواضح أن هذا الإعداد وتلك الألوان من القوى والأسلحة لا تنهيأ ولا تدوم إلا إذا كانت فى المسلمين قوة وشدة ، وكان فى جمعهم تماسك وتكاتف وتساند ؛ كما أنه قد يكون من الواجب أن نشير إلى أن « المرابطة » لا تقتصر على ذات الخيل ، وإن ذكرتها الآية لمناسبة ما كان موجودا ، بل علينا أن نرابط الأعداء بمثل عدتهم وأسلحتهم ووسائلهم .

والآية الثالثة تقول : « إذ يغشيكم النعاس أمنة منه ، وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ، ويذهب عنكم رجز الشيطان ، وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » .

وقد نزلت هذه الآية ضمن الآيات التى نزلت فى غزوة بدر ؛ وهنا يتحدث الحق تبارك وتعالى عن النعم التى أنعم بها على المجاهدين الأولين ، فقد كانوا قلة وأعداؤهم كثرة ، وهذا يثير الخوف فى القلة ، والخائف لا ينام وإن رغب فى النوم ، فأنزل الله النعاس على المسلمين تطمينا منه وتأمينا وإذهابا للخوف عنهم ، وإراحة لهم حتى يستعدوا للمعركة القادمة ، وكذلك أنزل الله عليهم ماء فى وقت جاف ومكان مجدب وساعات كلها ظمأ وحاجة إلى التطهر والاغتسال ... فتطهروا وأزالوا وسوسة الخناس عن نفوسهم ، وثبت الله أقدامهم بهذا الغيث إذ صارت الأرض الرملية اللينة صلبة متماسكة ، لا تلين فيها الأقدام ، بل تقوى وتشتد .

والقلوب إذا ارتبطت قويت واشتدت وجرؤت ، كما أن الأقدام لا تثبت إلا على أرض متماسكة صلبة ، فكأن الربط على القلوب هنا - وإن كان معنويا - يفيد الشدة والتماسك أيضا .

والآية الرابعة تقول : « وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها ، لقد قلنا إذن شططا » . وقد نزلت فى فتية الكهف الذين كفروا

مكتبتنا العربية

بالوثنية والاصنام ، وآمنوا بالله الخالق للسموات والأرضين ، والله يحدث عباده فى قرآنه عن نعمته على هؤلاء الفتية حين قواهم باليقين والصبر ، وشد قلوبهم وجعلها متماسكة لا تتزعزع ، بل تقوى على هجر الأوطان والنعيم ، والفرار بالدين إلى الكهف ، وتقوى على مجاهرة الطاغين والجبارين ومصارحتهم بكلمة الحق ، ولو لاقوا فى سبيلها الأذى والعنت ؛ فقد قاموا بين يدى الجبار (دقيانوس) دون خوف أو مبالاة ، وأظهروا إيمانهم ، وأصروا على هجر عبادة الأصنام ، لأن عبادة غير الله إفراط فى الظلم والضلال .

والقلوب الضعيفة تكون خائرة متداعية تطير شعاعا عند كل صيحة ، وأما القلوب المؤمنة المرتبطة بأسباب الله ، المترابطة فى سبيل الله ، فإنها تكون شديدة فى حقها وصدقها ، متماسكة فى إقبالها على دعوتها ومجاهدتها لأعدائها .

والآية الأخيرة تقول : « وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ، إن كادت لتبدى به ، لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين » . وقد نزلت هذه الآية فى شأن أم موسى عليه السلام ، حين صنعت له التابوت ، وألقته فى اليم ليلتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ، وقد خافت أم موسى على وليدها ووحيدها خوفا شديدا ، حتى تناهبت قلبها المخاوف والهواجس فأصبح فارغا متبددا ، وقاربت أن تكشف سترها وتعلن سرها ، ولكن الحق جل جلاله « ربط » على قلبها ، فجمع منه ما كان مشتتا ، وشد منه ما كان متداعيا ، فصار فى امتلاء واشتداد واستمساك .

وهكذا نرى أن الاستعمال القرآنى الكريم لمادة «الرباط» و«الربط» يشعر بالشدة والتماسك ، والشدة قوة لا تكون إلا ببذل الجهود لتحقيق المقصود ، والتماسك لا يكون إلا بالتكتل والتجمع والتعاون « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ؛ « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

٦ — إهابة :

يا بنى الإسلام . . . إن « الرباط » فى سبيل الله شعيرة من شعائر الملة ، وفريضة من فرائض الكتاب ، وسنة لا يقطعها إلا جاحد أو جاهل ، وقد كتب الله الجهاد والقتال كما كتب الصيام والصلاة ، « ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين » ، « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » .

أحمد الشرباصى
من علماء الأزهر الشريف

مكتبتنا العربية

ليس للمرأة شرعاً أن تمارس السياسة

لأن درء المفاسد المترتبة على ذلك مقدم على ما فيه من مصالح

حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر

قال مندوب « الأهرام » .

كان فضيلة الأستاذ الأكبر أمس عاكفاً على دراسة طائفة من المراجع الفقهية التي تحدثت في استفاضة وإبانة عن حقيقة موقف المرأة في نظر الشريعة الإسلامية ، وقد ذكر لي فضيلته أنه سوف يضع مذكرة مدعمة بالأدلة والبراهين القاطعة التي لا تدع مجالا لقائل بأن للمرأة أن تمارس شأنا من شئون السياسة العامة ، وسوف يفرغ من هذا البحث في خلال أيام قليلة .

الإسلام دين الفطرة :

ومضى الأستاذ الأكبر فقال : لست أريد بهذا البحث أن أدخل في جدل حول موقف المرأة نفسها ، ولكني سأتحدث عن حكم الشريعة الإسلامية بوجه عام .

ومن الحقائق الدائرة على الألسنة ، المقررة بين علماء الإسلام ، أن الإسلام دين الفطرة وكان ذلك من أسباب سرعة انتشاره ، واستمرار حيويته ، وازدياد الإقبال عليه في كل العصور ، ولو أتيح له أن يعرف كما هو ، لكان هو نظام الإنسانية كلها .

ومن مظاهر كون الإسلام دين الفطرة أنك مهما استقصيت أوامره ، لا تجده يأمر إلا بما فيه مصلحة عامة ، ومهما أحصيت نواهيه ، لا تجده ينهى إلا عما فيه مفسدة ، والإسلام يترك غير المسلمين يتحاكمون إلى أهل ملتهم ، وإذا تحاكموا لدى القاضي المسلم حكم بينهم أو بينهم وبين المسلمين بالعدل ، فإن العدل تابع للتحاكم لا للإسلام ، وذلك شأن دين الفطرة وقد توصل علماء الإسلام إلى أن يستخرجوا من مجموع نصوص الشريعة وأحكامها قواعد عامة كاستخراجهم قاعدة — الضرر يزال — من مثل قوله ﷺ « لا ضرر ولا ضرار » ويتفرع على ذلك أحكام لا تحصى في الفقه والقضاء .

مكتبتنا العربية

ثم قال : إن القواعد شأنها أن تؤخذ من موارد متعددة فى الشريعة ، ولهذا كانت فى نفسها قطعية ، وإنما الظن القوى فى تطبيقها ، وذلك كاف فى حق المجتهد .

وقد يرى واضع القانون الضرر الصغير فى الواقعة فيمنعه ، ويبيحه الشارع لأنه وقاية من ضرر كبير . ومن هنا نشأت قاعدة « ارتكاب أخف الضررين » ومن أصولها قول الله عز وجل « أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » فإن عيب السفينة ضرر ، لكنه أخف من أخذها غصبا .

وينظر بعضهم إلى مصلحة تظهر من شىء ، ولا تقع أنظارهم على المفاسد التى تنجم عنه ، فيظهر لهم أنه أحكم من منعه نظرا إلى مفاسده ، ومن هنا نشأت فى الشريعة قاعدة « درء المفاسد مقدم على جلب المصالح » ، ومن ذلك ما يدعيه القائلون بإعطاء المرأة حقوق الرجل السياسية ، فإنهم نظروا إلى ما فى المرأة من مزايا ، وغفلوا أو تغافلوا عما يترتب على ذلك من مضار تشاهد فى كل مكان ، فدفع المضار مقدم على ما يذكرون من المزايا .

ثم تحدث الأستاذ الأكبر مبينا ما فى الشريعة الإسلامية من النصوص والبراهين المؤيدة لهذا فقال :

من قواعد التشريع الإسلامى قاعدة « العادة محكمة » أى أنها تجعل حكما فى إثبات الأحكام إذا لم يعارضها نص ، وابتنى عليها قولهم : « الممتنع عادة كالممتنع حقيقة » وقولهم : « المعروف عرفا كالمشروط شرطا » وقولهم : « التعيين بالعرف كالتعيين بالنص » وقولهم « لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان » أى أن الأحكام التى كانت مبنية على عرف طرأ عليه التغير تتغير بتغير ذلك العرف ، فتبنى دائما على العرف الذى لا يخالفه نص .

ثم قال : إن القواعد كما قلنا مأخوذة من النصوص ، والنصوص لا تأتى إلا للمصلحة العامة ، والمصلحة العامة تتمشى دائما مع الفطرة الإنسانية وسعادتها ، فإذا لم تجز الشريعة للمرأة أن تمارس حقا من حقوق السياسة فإنما قصدت بذلك الخير الشامل للمجتمع الإنسانى ، بأن وظيفة المرأة الأولى أن تكون أما ، وأن تكون ربة بيت ، وقد أبيح لها أن تمارس الوظائف التى تتمشى مع طبيعتها ، فإذا هى أرادت أن تتعداها فإنما تكون قد خرجت عن الطريق التى رسمت لها والتى تتفق مع طبيعة تكوينها ، وفى هذا مضرة بها ، ومضرة بالمجتمع ، وشر بالإنسانية جمعاء يجب أن نتكاتف على دفعه ، والله الموفق .

مكتبتنا العربية

الرق وآثاره

في التشريع الإسلامي والمصري

١ — كاد إجماع الأمة في الفقه الإسلامي يكون منعقداً على أن الرق من موانع الإرث، حتى لقد حكى الإجماع على ذلك في أكثر المصادر المعتبرة لهذا الفقه [١]. وقد كان مشروع قانون الميراث (٧٧ لسنة ١٩٤٣) — كما قدمته لجنة الأحوال الشخصية — مشتملاً على النص على الرق باعتباره مانعاً من الإرث، بيد أنه رؤى حذف هذا النص، بسبب الحظر القانوني للرق وزوال نظامه؛ إذ أنه من الجرائم المعاقب عليها منذ ستين عاما، ومن أجل ذلك قضى بأنه ليس ثمة فائدة من الناحية العملية من جراء إيراد نص في قانون الميراث يعتبر الرق مانعاً من موانع الإرث [٢]. وصدر قانون الميراث، وقد خص موانع الإرث بالمادتين ٥، ٦ منه، وذكر فيهما ثلاثة موانع هي: القتل، واختلاف الدين، واختلاف الدارين في حالة خاصة، ولم ينص على الرق مانعاً من الميراث [٣].

٢ — بيد أن المادة الخامسة صيغت بحيث تشعر بأن ما ورد فيها من موانع، ليس على سبيل الحصر بل على سبيل التمثيل؛ إذ ابتدأت عبارتها بالقول «من موانع الإرث ...»، وهذا تعديل أجرته عليها (لجنة الشئون التشريعية بمجلس النواب) وأكدت في تقريرها عن مشروع قانون الميراث، أن السبب في ذلك هو جعل المادة المذكورة بحيث تكون أوضح في الدلالة على أن النص وارد على سبيل التمثيل لا الحصر [٤].

---

(١) انظر: الأستاذ أحمد إبراهيم (بك) في «المواريث علما وعملا» سنة ١٩٤٢ — ص ٧٢

(٢) انظر: المذكرة الايضاحية لقانون الميراث في (مجموعة القوانين، الوقف والوصية والميراث) جمع وترتيب محمد الغريب — الطبعة الثانية — ص ١٤٤.

(٣) انظر: المادة ٥٨٠ من الأصل (كتاب الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية) لقدري باشا، إذ نصت على أن مانع الارث الأول هو «الرق وافراً كان كالقن والمكاتب أو ناقصاً كالمدبر وأم الولد؛ لأن الرق ينافي أهلية الارث لأنها بأهلية المالك رقبة».

(٤) انظر: المذكرة الايضاحية لقانون الميراث في (السالف) — ص ١٣٨

مكتبتنا العربية

٣ — وأوردت المذكرة الإيضاحية فى تعليقها على نص م ٥ السبب فى جعل هذه المادة غير دالة على حصر موانع الإرث بقولها :

« حتى لا يظن أنه قصد بالحذف تغيير حكم شرعى أجمع عليه المسلمون » [١] .

٤ — وتعديل لجنة الشئون التشريعية لنص م ٥ لم يكن له لزوم فى نظرى ، بالرغم من السبب الذى أوردته المذكرة الإيضاحية ؛ إذ يترتب على جعل موانع الإرث فى القانون واردة على سبيل التمثيل إباحة إدخال موانع أخرى ، لم يكن المشرع يقصد بحال إدخالها ، ولقد كان الأصل - الذى كان معمولا به قبل صدور قانون الميراث - موفقا إذ حصر موانع الإرث بشكل لا يدع مجالا لإمكان دخول غيرها من الموانع المختلف فيها [٢] .

٥ — ثم إن المعروف هو أن القواعد المتعلقة بالتوريث وأحكامه المعتبرة شرعا ، - ومن هذه القواعد والأحكام موانع الإرث - هى من النظام العام L'orde public ، وقد قررت ذلك أحكام القضاء ؛ إذ قيل بأن أحكام الإرث من كون الإنسان وارثا أو غير وارث وكونه يستقل بالميراث أو يشارك فيه سواه إلى غير ذلك من الأحكام ، وكذلك الأحكام المتعلقة بتعيين الورثة وانتقال الحقوق فى التركات عن طريق الوراثة للمستحقين شرعاً ، مخالفة كل هذا باطلة لمخالفتها للنظام العام ، يحكم ببطلانها القاضى من تلقاء نفسه فى أية حالة عليها الدعوى ولا تصححها إجازة من أحد [٣] .

٦ — ومن هذا يفهم أن كل شخص قابل للإرث ، إذا توافرت فيه شروط التوريث ، وانطبقت عليه أحكام الباب الثانى من قانون الميراث الخاصة بأسباب الميراث ، ولم يكن فى

---

(١) انظر : المرجع السابق — ص ١٤٤

(٢) انظر : المواد من ٥٨٥ — ٥٨٨ من الأصل (كتاب الأحكام الشرعية) السالف الذكر .

(٣) انظر : حكم القضية رقم ٢ سنة ٤ قضائية فى (مجموعة القواعد القانونية) حـ ١ ص ٤٤٩ ، وجاء فيه أنه باطل كل اتفاق قبل وفاة شخص ما على شىء يمس حق الارث عنه ، لأن مثل هذا الاتفاق مخالف للنظام العام - وانظر كذلك حكم محكمة استئناف مصر (٢٠ نوفمبر سنة ١٩٤٦) فى (المحاماه) س ٣٠ ص ٧٥٢ رقم ٣٧٣ ، إذ يستفاد منه أن قواعد التوريث وأحكامه من النظام العام والتحايل عليها ممتنع لذلك .

مكتبتنا العربية

حالة حجب مما هو منصوص عليه فى الباب الثالث ، إلا أن يكون ممنوعاً من الإرث ، فهذا المنع إذن من قبيل الاستثناء ، وفتح باب المادة الخاصة به (م ٥) لدخول موانع جديدة ليست معروفة لدينا خاصة بعد إلغاء الرق قانونا وحذفه باعتباره مانعا من الإرث ، وبعد ثبوت أن ليس فى القانون المصرى الوضعى على وجه العموم مانع من الإرث غير الموانع الثلاثة المذكورة فى قانون الميراث ، أقول إن هذا الفتح يعتبر من قبيل اللغو الذى كنا ننزه الشارع عن الوقوع فيه من الناحية الشكلية [١] .

٧ — أما السبب الذى أوردته المذكرة الإيضاحية . فلست أفهم بصدده ما وجه الظن بتغيير حكم شرعى أجمع عليه المسلمون ، ما دام الرق قد ألغى فى مصر ولم يعد موجوداً ؟ ! ، بل إن (الرق) فى حد ذاته كان فى الإسلام نظاماً اقتضته ظروف مؤقتة خاصة به ، يدل على ذلك عدم تسجيل القرآن الكريم له ، وإنما سجل العتق ووسع فى أسبابه حتى يقضى إلغاؤه والقضاء عليه ، حتى لقد قيل : إن أسباب العتق التى وضعها القرآن ، لو نفذت كلها ، فإنه لا يبقى رقيق فى دار الإسلام أكثر من عام واحد [٢] .

٨ — على أن دعوى الإجماع التى استندت إليها المذكرة مردودة وغير صحيحة على

---

[١] قد تتصور فكرة دخول موانع أخرى للميراث فى المادة ٥ ، إذا لاحظنا أن ثمة عدداً وافرا من هذه الموانع موجود عند الفقهاء على اختلاف ، ومثال هذه الموانع ، مانع الزنا ومانع اللعان ومانع التبرؤ من الولد ومانع عدم الاستهلال ومانع الشك فى الموت ومانع استغراق التركة بالدين ومانع الفقد ومانع الزواج المنقطع [المتعة] عند الشيعة الامامية إلا إذا اشترط أحد المتناكحين الميراث . الخ راجع فى هذه الموانع ، أحمد ابراهيم — السالف — ص ٩١ وما بعدها .

[٢] انظر . الاستاذ محمد أبو زهرة فى بحث [شريعة القرآن دليل على أنه من عند الله] — فى [المسلمون] س ١ ص ٣٥ بند ١٠ — ومما هو جدير بالذكر أنه على الرغم من اعتراف الاسلام بشرعية الرق ، فانه كان يبيح للعبد أن يسلم مع بقائه عبدا ، ويقول البعض بأنه لو حدث يوما ما أن كان كل الناس مسلمين فان مصدر الرق ما كان ليبقى له وجود نتيجة لذلك ، ويوضحون ذلك بأن وضع العبد فى المجتمع الاسلامى كان فى العادة حسنا جدا ، وإعتاقه من سيده كان بابا مفتوحا لهذا الاخير ، يستطيع عن طريقه أن يكفر عن المعاصى والسيئات التى وقعت منه فى مواجهة الديانة الاسلامية ، وبصرف النظر عن هذا الغرض الخاص من الرق وهو التكفير ، فالعتق فى حد ذاته كان مندوبا ومطلوبا من الاسياد — انظر .

L'islamisme. par O. Haudas, Paris, 1904, p. 219

مكتبتنا العربية

إطلاقها [١] ؛ وذلك لوجود خلاف ليس قليل الأهمية ، فى شأن الرق واعتباره مانعاً ؛ إذ وجد فقهاء كثيرون قالوا باعتباره غير مانع من الإرث [٢] .

٩ — ومن أجل كل هذا لا أرى معنى للتحفظ والخوف من الظن بتغيير حكم شرعى أجمع عليه المسلمون ؛ لأن هذا الظن وهم وخيال من جهة ، ومن جهة أخرى لأن هذا الإجماع المردود من المسلمين ، ليس عيباً خروج المشرع المصرى الحديث عليه ، ما دام بشأن مسألة خاصة ، رأينا أنها سلمت فى التشريع الإسلامى لوجود محلها الذى هو انتشار الرق فى بدء نشوئها ، ثم ما كان من محاولة هذا التشريع القضاء عليه ، بحثّه على العتق ، وإيراده للأسباب الكثيرة لتشجيع هذا الأخير .

١٠ — ويلاحظ أن قانون الميراث لم يتخلص البتة من آثار الرق ، يتبين ذلك من اعتباره (العصوبة السببية) سبباً ثالثاً للإرث بعد الزوجية والقرابة (م ٧) ، ويقصد بهذه العصوبة الميراث بولاء العتاقة وفق هذا القانون [٣] ، وصورة ولاء العتاقة هذا أن

---

[١] انظر . أحمد ابراهيم ـ السالف ـ هامش ص ٥٧

[٢] راجع فى ذلك . [القواعد ومفتاح الكرامة] و [حاشية الفنارى] و [ابن حزم] و [الروضة الندية وشرحها الشوكانى وصديق خان] و [الاهلية وعوارضها] و [نظام النفقات] لأحمد ابراهيم ـ عن : أحمد ابراهيم فى ـ السالف ـ ص ٧٢ وما بعدها

(٣) عرف الرومان ولاء العتاقة والتوريث على أساسه ، إذ كان لديهم نظام العتق ، وكان العتيق بمقتضاه يكتسب صفة الحرية والصفة الوطنية معا ، ولكنه لا يصير حراً على إطلاق ، إذ وضع القانون الرومانى عدة قيود تحد من حريته كى يعتبر فى مرتبة أدنى من مرتبة الأحرار الأصليين ، وخاصة ما يتعلق من هذه القيود بالحقوق المالية Bona ، ويهمنا هنا من هذه الحقوق : الحق الذى كان يخول السيد إذا أعتق ، والذى بمقتضاه يرث عتيقه إذا مات من غير وارث وبدون أن يترك وصية ـ انظر . الدكتور محمد عبد المنعم بدر والدكتور عبد المنعم البدراوى فى (القانون الرومانى) ص ١٥٢ ، ومفهوم أن القانون الرومانى قد عرف الرق واعتبره مانعا من الارث ـ انظر . السالف ص ١٤٣ ، كما عرف نظام الموت المدنى Capitis Demininutis انظر بيانا موجزا عن هذا النظام وتاريخه فى موجز القانون الرومانى لجيفار ـ طبعة ١٩٣٤ ـ ١ ص ٣٠٩ ـ ٣١١ . وجاء هذا النظام La mort ciuil إلى القانون الفرنسى ونص عليه فى ق سنة ١٨٠٤ ـ ثم ألغى بقانون سنة ١٨٥٤ انظر فى ذلك Code Civil annoté d'après la doctrine et la jurisprudence, par, H. Bourdeaux, p. 33, وانظر ـ Prof. Gaston Stefani, Les successions ab intestat et testamentaire en droit grançais comparé au dr. egyptian, Rev. Al-lanoun Wal Iqtisad, xx1 eannéc, No 1, p. 47.

مكتبتنا العربية

يعتق الرجل عبداً أو أمة له ، فيترتب على ذلك أن يصبح العتيق منسوباً إلى المعتق بالولاء ، ومن أجل هذا أطلق على هذا الولاء (ولاء النعمة) ، وبمقتضاه يرث المعتق من العتيق دون العكس ، وسواء فى ذلك أحدث العتق من المعتق لوجه الله تعالى أم لوجه الحاكم أو السلطان ، وسواء أعتقه سائبة أم شرط ألا ولاء عليه ، كما أنه يستوى العتق بجعل أو بغير جعل أو بطريق الكتابة (١) .

١١ — والرأى الذى أخذ به القانون فى شأن ولاء العتق هو رأى الجمهور ، فهم الذين يعتبرونه سبباً من أسباب الإرث ، ويستندون فى ذلك إلى حجج يمكن تلخيصها فى سندين :

أولهما : سند قرآنى : إذ قال تعالى : « ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون » وقد فسروا « الموالى » فى الآية على أنها العصبات ، ومولى العتاقة يعتبر عصبة ، ومن أجل ذلك يرث . ويرد على ذلك بأمرين :

(الأول) أن كلمة الموالى فسرت أيضاً على أنها الورثة ، وبذلك تفتقر إلى دليل يدل على أن مولى العتاقة من هؤلاء .

(والثانى) أن المتوفى ليس والداً ولا قريباً لمولاه المعتق ، وهنا يتبين أن مولى العتاقة خارج عن الصورة الواردة فى الآية (٢) .

وثانيهما : سند نبوى : ويتفرع فرعين :

(الأول) خاص بقول الرسول ﷺ إن « الولاء لحمة (٣) كلحمة النسب لا يباع ولا يوهب » إذ يدل هذا الحديث فى نظرهم على أن الولاء كالنسب (القرابة) سبب للإرث . وهذا القول مردود كذلك لاعتبارات ، منها أن هذا الحديث معلول (٤) ، ومنها أن الولاء إن كان كالنسب ، فليس كل نسب سبباً فى الإرث عند من يقول بعدم توريث ذوى الأرحام ، ومنها أن وجه الشبه الوارد فى الحديث بين الولاء والنسب هو الخاص بالبيع والهبة فقط لا المتعلق

(١) انظر : شمس الدين السرخسى فى [المبسوط] جـ ٣ ص ٣٨ .

(٢) انظر . أحكام القرآن لأبى بكر الرازى الجصاص — وأحمد ابراهيم — السالف . ص ٣١ .

(٣) المراد باللحمة . الرابطة التى تربط شيئين أحدهما بالآخر .

(٤) أعله البيهقى .

مكتبتنا العربية

بالإرث ، وكذلك لا دليل على توريث الجمهور للمعتق من العتيق دون إجازة العكس [١] .

والثانى خاص بتلك الرواية التى تتلخص فى أن النبى ﷺ - لما مات مولى لبنت حمزة تاركا ابنته ومولاته ابنة حمزة - أعطى الابنة نصف مال المتوفى والنصف الآخر أعطاه لبنت حمزة ، وهذا يدل على توريث النبى ﷺ للمعتق من العتيق ، ولكن الواقع أن هذه الرواية مضطربة الإسناد كل الاضطراب ، والأحكام الشرعية لا تثبت بروايات فيها مثل هذا الاضطراب [٢] .

١٢ — وعلى خلاف رأى الجمهور وجد رأى آخر ، هو رأى (الإباضية) [٣] ، يقول : إن ثبوت الإرث لا يكون إلا بدليل من الكتاب أو السنة أو الإجماع ، وليس فى حالتنا هذه شىء من ذلك ، لأن أسباب الإرث الثابتة فى الكتاب والسنة هى القرابة والزوجية ، وأما عن الإجماع ، فإنه يروى أن قد مات مولى لابن عمر ، فجىء إليه بما ترك فرفض أخذه قائلا : لو كان لى لأخذته ، كما أنه يروى أن مولى لرسول الله ﷺ مات ، فدعى النبى من حضر من أهل أرضه ، وأعطاهم مال الرجل ، ولم يدع لنفسه إرثه بسبب الولاء [٤] .

١٣ — والواقع أنه لا مجال للرأى بعد أن نص قانون الميراث على هذا الولاء واعتباره

---

[١] انظر : أحمد إبراهيم - السالف - ص ٣٢ - ويلاحظ أن بعض الفقهاء يرون التوارث بين المعتق والعتيق ، بيد أن الجمهور لم يجيزوا ذلك .

[٢] انظر : أحمد ابراهيم - السالف - ص ٣٣ - على أن بعض الفقهاء حاول الجمع بين مختلف الروايات فى هذا الشأن [نيل الأوطار] ولكن هذا لا ينفى ما ذكر فى المتن

[٣] هم أتباع عبد الله بن إباض التميمى ، وهم فرقة من الخوارج ، يتميزون عن سواهم من فرق الخوارج بأنهم لم يغلوا فى الحكم على مخالفيهم ، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى طبيعة ظروف نشأتهم إذ أن صاحبهم السالف الذكر لم يخرج إلا فى أيام مروان بن محمد بعد أن قضى الأمويون على الخوارج أو كادوا وبعد أن تحول نضال الأحزاب بعد يأسهم حول الحكم إلى مذاهب علمية بحتة - انظر : دكتور حسن ابراهيم حسن فى [تاريخ الاسلام السياسى] حـ ١ سنة ١٩٣٥ ص ٤٦٩ وهامشها - هذا ولاعتدال هذه الفرقة بقى منها ناس إلى اليوم ، انظر : محمد أبو زهرة فى [أحكام التركات والمواريث] هامش ص ٩٢

[٤] انظر : شرح النيل (من كتب الاباضية) ونيل الأوطار [للشوكانى] - وأحمد ابراهيم - السالف - ص ٢٩ .

مكتبتنا العربية

سبباً للتوريث ، وقد أخره عن توريث ذوى الأرحام وعن الرد على الزوجين ، وهو فى ذلك يعمل بمذهب الإباضية إذا كان ذوو أرحام أو أصحاب فروض ، ويأخذ برأى الجمهور حين لا يكون أحد من الأقارب قط ؛ إذ يقرر هذا الجمهور أن التوريث الثابت بالولاء على أنه عصبة سببية يعقب ذلك المتعلق بالعصبة النسبية ، ويسبق الرد على جميع أصحاب الفروض وكذلك ذوى الأرحام [١] .

١٤ — غير أنه بالرغم من هذا الاهتمام الذى أبداه المشرع المصرى بمسألة مولى العتاقة وتوريثه من عتيقه ، ونصه على ذلك فى المادة السابعة من قانون الميراث ، وإيراده مادتين خاصتين بأحكام توريثه (م ٣٩ ، ٤٠) والتعب الذى لاقاه فى سبيل ترجيح رأى الجمهور ، يضيق نطاق تطبيق ما جاء به فى هذا الشأن كل الضيق ؛ وذلك نظراً لأن الرق قد انتهى كما أسلفت منذ زمن بعيد ، ويعد من الجرائم المعاقب عليها من عشرات السنين [٢] .

١٥ — ويلاحظ بعد هذا أن الحجة العملية المعقولة التى يمكن تسليمها فى شأن توريث المولى الذى أعتق من عتيقه هى التى تقول بأن تقرير ذلك التوريث إنما يشجع على العتق ؛ لأن المعتق يقدم على الإعتاق إذا علم أن علاقته بعتيقه سوف لا تنقطع وأنه سيكون وارثه فيما يخلفه من مال بعد موته [٣] ، بيد أنها حجة لا مجال للأخذ بها هنا فى قانون الميراث ؛

---

[١] انظر محمد أبو زهرة ـ فى السالف ـ ص ٢٣٦ ـ وقد بين القانون أحكام الارث بالعصوبة السببية فى الباب السادس ـ راجع نص المادتين ٣٩ ـ ٤٠ وتعليق المذكرة الايضاحية عليها فى ـ [مجموعة القوانين] ـ السالف ـ ص ١٥٨ .

[٢] الظاهر أن اعتبار المشرع المصرى لولاء العتاقة سببا للارث يرجع إلى وجود فئة [الأغوات] وهم شرذمة من العتقاء عاشوا فى القصور الملكية للندثرة ، ويمكن التعليق على ذلك بأن نظام هؤلاء القوم نظام خاص ، واهتمام المشرع بإدراج هذه النصوص فى قانون الميراث خاصة بتوريث الموالى منهم وضع منتقد لاعتبارات لا تخفى على فاحص ، ولئن صح أن هذه الفئة من المخلوقات هى التى ينطبق عليها وحدها قانون الميراث فى شأن مولى العتاقة باعتبار أنها من العتقاء الذين يرثهم مواليهم إذا ماتوا من غير وارث إذا صح ذلك ـ وفى علمى أنها الفئة الوحيدة فى هذا الصدد ـ فإنه يمكن تصور مبلغ الضيق فى نطاق تطبيق قواعد الارث فيما يتعلق بولاء العتاقة ، ولئن صح هذا كذلك فلا محل لاعمال هذه القواعد بعد انقلاب الحكم فى مصر وزوال الملكية وقيام الجمهورية . . !

(٣) انظر : محمد أبو زهرة ـ فى السالف ـ ص ٢٤٢ .

مكتبتنا العربية

إذ كيف نندب العتق بتقرير توريث مولى العتاقة ، وأساس العتق الذى هو الرق ملغى لا وجود له [1] ؟!

أحمد طه السنوسى

---

(١) يلاحظ أن ولاء العتاقة هو أحد نوعين للولاء ، يعرف ثانيهما بولاء الموالاة ولم يتعرض له المشرع ، وهو عبارة عن عقد بين عربى وأعجمى أسلم مثلا بمقتضاه يلتزم العربى دفع الدية عن الأعجمى إذا أجرم هذا الاخير ، ويرثه إذا توفى وليس له وارث قط ، ومن المفيد بيان التفرقة بين الولاءين من الوجهة القانونية والعلمية ، وهذه التفرقة تتلخص فى ثلاثة أمور :

الاول : أنه فى ولاء العتاقة يرث الأعلى وهو مولى العتاقة من الأسفل وهو العتيق دون العكس ، على حين أنه فى ولاء الموالاة يكون التوريث على مقتضى الاتفاق بين الطرفين ، وبناء ذلك أن ولاء العتاقة إنما سبب التوريث فيه الاعتاق وهو يوجد من الأعلى فى حق الأسفل دون العكس ، بينما السبب فى ولاء الموالاة هو العقد والشرط ، والحكم يثبت على الوجه الذى يوجد عليه الشرط والعقد .

والثانى : أن ولاء العتق لا يحتمل النقض والفسخ على حين يحتمل ولاء الموالاة ذلك ، وعلة هذا مفهومة ، وهى أن سبب الأول وهو الاعتاق لا يحتمل النقض بعد ثبوته ، والمعروف أن ثبوت الحكم يكون على وفق السبب ، وهذا على خلاف الحال فى ولاء الموالاة ، إذ السبب فيه الايجاب بطريق التبرع وهو يحتمل النقض ، وتظهر القدرة على الفسخ فى التفرقة بين الحال بعد العقل وقبله ، وتتضح فى حالات أولها : أن الموجب ينفرد بالفسخ ما لم يعقل عن الطرف الآخر ، ولكنه لا ينفرد به بعد ما عقل عنه جنايته ، والسبب فى ذلك انه قبل عقل الجناية العقد تبرع بالنسبة له ، والمتبرع له الفسخ قبل حصول المقصود بغير رضاء الطرف الآخر ، على عكس الحال إذا تحمل عنه جريرته ، فالعقد هنا يصير معاوضة ، ولا يحدث الفسخ فى المعاوضة من جانب واحد بل لابد من رضاء الطرفين . وثانيهما : أن الموجب ما دام يملك فسخ العقد قبل العقل ، فهو يملك التحول بولايه الى سواه ، وذلك بأن يتعاقد مع غيره معاقدة ولاء ، فينفسخ العقد عندئذ بينه وبين المتعاقد الاول بذلك العقد اللاحق ، أما إذا عقل الجناية ، فهو لا يملك مثل هذا التحول ، وثالثها : أن من لم يوال أحداً لا يستطيع أن يعقد عقد موالاة مع أحد ، فى حالة ما إذا جنى وعقل بيت المال جنايته ، وذلك لان ولاءه صار لبيت المال ، وتأكد هذا بعقل الجناية : فلا يستطاع من بعد إبطال هذا الولاء ، وهذا على خلاف الحال قبل عقل بيت المال جناية الجانى ، إذ يستطيع عقد الولاء مع آخر باتفاقه معه .

والثالث : أن مولى العتاقة مقدم فى [المذهب الحنفى] على ذوى الارحام ، على حين أن مولى الموالاة مؤخر عنهم ، والسبب فى ذلك ثبوت العصوبة لمولى العتاقة بالشرع ، أما فى حالة ولاء الموالاة ، فالموت هو الذى أوجب صلة التوريث بالعقد ، وعلى هذا يكون بمنزلة الوصية بجميع المال ، وهى ممتنعة هنا لحق ذوى الارحام وحق العصبات ، وشأنها فى ذلك شأن الميراث ، وعلى هذا لا ينال مولى الموالاة شيئا إن كان ثمة أحد من ذوى الارحام . انظر فى هذا : شمس الدين السرخسى ـ السالف ـ ج ٣ ص ٤٥ .

مكتبتنا العربية

انتكاس الإنسانية والحضارة

بانتصار "شارل مارتل" على "عبد الرحمن الغافقي"

في معركة تور Tours يوم السبت ٨ شعبان سنة ١١٤ (أكتوبر ٧٣٢)

في افتتاحية هذا الجزء من (مجلة الأزهر) إشارة إلى قبس النور الذي سطع من فسطاط مصر فتبلج في آفاق الأندلس ، وكادت تستضيء به فرنسا وأوربا فتكون العربية لغة فرنسا الآن ، ويكون نظام الإسلام العادل الرحيم هو نظام الأوربيين والامريكيين جميعا ، لولا خدعة من خدع (الأراجيف) صدرت عن جواسيس شارل مارتل فجازت على الأبطال المجاهدين تحت ألوية الأمير القائد المجاهد عبد الرحمن الغافقي ، فغير بذلك اتجاه التاريخ ، وتحولت به زعامة التمدن من ذات اليمين إلى ذات الشمال ، فكان ذلك نكبة على الإنسانية والحضارة .

وقد شعرنا بعد مثول المقال الافتتاحي للطبع ، أن هذا الموقف يحتاج إلى بيان تكمل به الفائدة من تلك الإشارة الخاطفة ، فاخترنا نقل النصوص الأجنبية الآتية :

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

شهادة مسيو كلود فارير :

لما ترجم أحد أساتذة مدرسة اللغات الشرقية في باريس رواية (العباسة أخت الرشيد) لجرجي زيدان من العربية إلى الفرنسية طلب إلى أديب الفرنسية الأشهر مسيو (كلود فارير) أن يكتب لهذا الكتاب مقدمة . فلبى طلبه ، ومما جاء في تلك المقدمة ما يأتي :

« في سنة ٧٣٢ م (١١٤ هـ) حدثت فاجعة ربما كانت من أشأم الفجائع التي انقضت على الإنسانية في القرون الوسطى ، وكان منها أن غمرت العالم الغربي — مدة سبعة قرون أو ثمانية إن لم نقل أكثر — في طبقة عميقة من التوحش لم تبدأ بالتبدد إلا على عهد النهضة (رونسانس) وكاد عهد الإصلاح يعيدها إلى كثافتها . هذه (الفاجعة) هي التي أريد أن أمقت حتى ذكراها . وأعني بها الانتصار البغيض الذي ظفر به على مقربة من پواتيه [1] أولئك البرابرة المحاربون من الافرنج بقيادة الكارولنجي شارل مارتل على كتائب العرب

---

(١) بقعة من الأرض الفرنسية قريبة من بلدة (تور) في مقاطعة شمبانيا .

مكتبتنا العربية

المسلمين الذين لم يحسن عبد الرحمن الغافقى جمعهم على ما ينبغى من الكثرة فانهزموا راجعين أدراجهم .

فى ذلك اليوم المشئوم تراجعت المدنية ثمانية قرون إلى الوراء . ويكفى المرء أن يطوف فى حدائق الأندلس ، أو بين الآثار العربية التى لا تزال تأخذ بالأبصار مما يبدو من عواصم السحر والخيال (إشبيلية ، وغرناطة ، وقرطبة ، وطليطلة) ليشاهد — والألم الغريب آخذ منه — ما عساها أن تكون بلادنا الفرنسية لو أنقذها الإسلام العمرانى الفلسفى السلمى المتسامح — لأن الإسلام بمجموعة كل هذا — فخلصها من الأهاويل التى لا أسماء لها . وكان من ذلك أن نتج خراب غاليا القديمة التى استعبدها أولا لصوص أوستروجيا ، ثم اقتطع جزءا منها قرصان النورمانديين ، ثم تجزأت وتمزقت وغرقت فى دماء ودموع ، وفرغت من الرجال بما انبعث فى أرجائها من الدعوة للحروب الصليبية ، ثم انتفخت بالأشلاء والجثث بما دهمها من الحروب الخارجية والأهلية الكثيرة العدد .

حدث ذلك فى حين كان العالم الإسلامى — من نهر الوادى الكبير فى أوربا إلى نهر السند فى قلب آسيا — يزدهر كل الازدهار فى ظل الإسلام ، تحت أعلام أربع دول سعيدة : الأموية ، فالعباسية ، والسلجوقية ، فالعثمانية .

ليس ما أكتبه فصلا من التاريخ الرسمى [1] ، بل هو التاريخ الحقيقى الذى يتعلمه المرء بنفسه ، مما يجتازه من بحار ، ويقطعه من فيافٍ وآفاق ، ويقلبه من خزائن الكتب الأجنبية . وليس هذا بعزيز على حياة سائح يريد أن يفضح — عقب رحلة له — ما كان يلمسه بأطراف بنانه من تلك الأكاذيب الكبرى السفيهة التى أراد معلومنا — ولا يزالون يريدون — وضعها أمام أعيننا كأنها حقيقة ، بل هى الحقيقة ... » .

إن هذه الشهادة من أديب فرنسا الأكبر مسيو كلود فارير للحضارة الإسلامية تنادى بأنه كان من الخير لفرنسا لو انتصر عبد الرحمن الغافقى على شارل مارتل ، ليكون نصيب

---

(١) وما أكذب التاريخ الرسمى ، لأن الأقوياء يملونه على المنافقين والمغرضين والكذبة بوسيلتى الترغيب والترهيب . ثم يحتاج الى تصحيح ، كما شعرنا الآن بالحاجة إلى تصحيح تاريخ الأسرة العلوية بمصر ، وكما يشعر علماء المسلمين بالحاجة إلى تصحيح تاريخ الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان ، وكما يعلن كلود فارير حاجة أوربا إلى تصحيح تاريخها الرسمى الذى يتهكم به . [المجلة]

مكتبتنا العربية

الفرنسيين فى لغتهم وثقافتهم كنصيب أهالى قرطبة وإشبيلية وطليطلة وغرناطة ، يوم كان العرب المسلمون يقيمون فيهن معالم الحق والحضارة والحكمة والعمران .

شهادة هنرى دى شامبون :

وإليك شهادة ثانية من فرنسى آخر هو المسيو هنرى دى شامبون مدير مجلة (ريفو پارلمنتير) قال :

« لولا انتصار جيش (شارل مارتل) الهمجى على تقدم العرب فى فرنسا لما وقعت فرنسا فى ظلمات القرون الوسطى ، ولما أصيبت بفظائعها ، ولما كابدت المذابح الاهلية الناشئة عن التعصب الدينى والمذهبى . ولولا ذلك الانتصار البربرى على العرب لنجت إسبانيا من وصمة محاكم التفتيش ، ولولا ذلك لما تأخر سير المدنية ثمانية قرون .

إننا مدينون للشعوب العربية بكل محامد حضارتنا : فى العلم ، والفن ، والصناعة . مع أننا نزعم اليوم أن لنا حق السيطرة على تلك الشعوب العريقة فى الفضائل . وحسبها أنها مثال الكمال البشرى مدة ثمانية قرون ، بينما كنا يومئذ مثال الهمجية . وإنه لكذب وافتراء ما ندعيه من أن الزمان قد اختلف ، وأنهم صاروا يمثلون اليوم ما كنا نمثله نحن فيما مضى » .

وصف تاريخى للمعركة :

وكأنى بك بعد هذا وذاك تريد أن تعرف شيئاً عن تلك المعركة التى تغير بها سير التاريخ ، وتسألنى : وكيف كان ذلك ؟ فأحيلك — فى تفصيل ما سألت — على الأستاذ حنا خباز من أدباء الشام ومؤرخيها ، قال :

« نشأت الدعوة الإسلامية فى مكة المكرمة بالحجاز ، وأتمت إخضاع العرب فى حياة منشئها العظيم ، ومن ثم شرعت فى نشر سطوتها فى العالم .

وليس فى تاريخ العالم أغرب من سرعة انتشار الدعوة الإسلامية فى سنين قلائل : فى سوريا ، والعراق ، وكردستان ، وأرمينيا ، وقوقاسيا ، والعجم ، والتتار ، ومصر ، وطرابلس الغرب ، وتونس ، والجزائر ، ومراكش . ولم تقف عند هذا الحد ، بل تخطته إلى ماهو أبعد مكاناً وأعظم مغزى : فهاجمت أوربا أولا من ناحية قسطنطينية ، وإذ امتنعت

مكتبتنا العربية

عليها دارت بها من ناحية إسبانيا ، ودخلتها عن طريق جبل طارق ، وساعدتها الأقدار على استعمار إسبانيا وسمتها الأندلس » .

ولست أرمى هنا إلى شرح تاريخ الدعوة الإسلامية فى الأندلس ، ولا إلى إيراد فتوحاتها المجيدة فى بلاد الفندال والفزيغوت ، بل أقول : إنها امتدت شمالا إلى جبال بيرنيه وعبرتها إلى فرنسا . وشنت الغارة على فرنسا بقيادة (عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى) سنة ١١٤ هـ (٧٣٢ م) ، وكان هذا قائداً خبيراً بفنون القتال ، دمث الأخلاق ، محبوباً من جميع جنوده . فاجتاح (غسقونيا) وكل (وادى غارون) ، وقهر الكونت (إيدو) وهزمه ، وكانت على نهر غارون مذبحة هائلة نشرت الرعب فى قلوب جميع سكان أوربا . ثم تقدم عبد الرحمن بجيشه اللجب إلى (وادى اللوار) ولم يقف فى سبيله حاجز حتى وصل نواحى مدينة (تور) وهو يفتتح ويغنم ويحرق .

(ميدان المعركة) : فى رحاب شمبانيا الشاسعة — بين پواتيه وتور — المؤلفة من مروج خصبة وافرة المرعى غنية الحاصلات ، تنساب فيها جداول الشار والكروز والفيان والكلاين والأندر ، وكل هذه الجداول فروع من نهر لوار العظيم . وترقط تلك الرحاب هضبات وأنشاز امتازت بنضارتها وجناتها ، تخترق بعض أقسامها حراج وغابات تفصل بين مروجها الخضراء ، فهى جنات تجرى من تحتها الأنهار ، وتغرد على ميلاء أفنانها صادحات الأطيار ، ويهب فى غاباتها النسيم عليلا . وينساب لجين مائها على در حصبائها فراتا سلسبيلا .

وقد ازدان تاريخ تلك الرحاب ـ أو تشوه ـ بأخبار معارك عديدة شبت فيها فى مختلف الأزمان ، بين الغزاة الفاتحين والوطنيين المدافعين فى مختلف الأمم والأحوال ، وأهم ما سطر فى صفحات تاريخها أخبار المعركة الفاصلة بين (شارل مارتل) و (عبد الرحمن الغافقى) أو بين العرب والجرمانيين ، بل بين الساميين والآريين ، بين آسيا وأوربا ، بين الشرق والغـــرب .

هنا لك كانت نقطة التحول والانقلاب فى مجار كثيرة هى : الفتح العربى ، الامتداد الإسلامى ، الطموح الشرقى ، النهضة الآسيوية . ومن ثم نكصت هذه المجارى راجعة من جوار باريس إلى ماوراء جبال بيرنيه ، ثم برحت أوربا إلى العالم القديم ، فساد أوربا التمدن المسيحى والأمم الجرمانية .

مكتبتنا العربية

(جيوش المعركة) : نشر الإسلام رواقه على شمال إفريقية وغربى آسيا . وتعمق فى هذه إلى ما وراء دجلة ، فاكتسح بلاد الفرس والتتار وما فيها من جبال ووهاد ، وأغوار وأنجاد ، وبحيرات وأنهار ، ومدائن وأمصار ، وأمم وأسباط ، فكان (جيش عبد الرحمن الغافقى) خليطا من كل تلك الأمم من بدو وحضر وعرب وبربر ، وفيه من الفزيغوت والفندال من شعوب إسبانيا والبرتغال . واختلف المؤرخون فى عدده بين ٨٠ ألفا و ٧٠٠ ألف [١] . وأثبت أحد مؤرخى الأجيال الوسطى خسارة العرب فى معركة تور ٣٥٠ ألفا . ولا سبيل لنا إلى تحقيق ذلك ، والأرجح أن فيه مبالغة كبيرة . على أنا إذا فحصنا الامور بنور الحقائق تجلت لنا القواعد التى تؤيد أهمية المعركة ووفرة جنودها . قال أحد مؤرخى الأديار : « حمل الإسلام إسبانيا بخيله ورجله ، وجاءها المسلمون بأبنائهم وأزواجهم ، وشكلوا الممالك ، ونشروا التمدن العربى والفنون الشرقية ، وحشدوا جيوشهم فى تلك الأصقاع ، وجمعوا أسلحتهم وذخائرهم ، وعبروا بكل هذه الأشياء إلى فرنسا ، فاكتظت بها الأقدام ، وغمرتها الجحافل والأعلام » .

أما (جيش شارل مارتل) فكان فيه الجرمانيون ولا سيما التيوتون الذين سكنوا غرب نهر الرين ونبذوا عنهم عيشة البداوة الخشنة واعتنق بعضهم النصرانية ، ولكن أكثرهم ما زال إلى ذلك الحين على الجاهلية . وكان زعماؤهم فى نزاع مستديم على التفوق . وأخيراً قبض كلوفيس على أزمة الأمور سنة ٥٨٩ ، وهذا أساس الدولة الفرنسية ، ومن ذريته (شارل مارتل) بطل معركة تور ، وهو دوق الفرنج الأوستراسيين ، وهم أشجع الجرمانيين . وكانت تحت لوائه جموع كثيرة من الغاليين والنورمنديين والسكسونيين والثورنجيين والغيرسانيين والبافاريين والإيطاليين والأوستروغوثيين .

(أوصاف المعركة) : كتب العرب تاريخ هذه المعركة ، وترجم ذلك إلى اللغة الإسبانية الدون خوسيه أنطونيو كوندو فى (تاريخ الممالك العربية فى إسبانيا) وقد طبع هذا الكتاب فى مدريد سنة ١٨٢٠ وعنه أخذ المؤلف الإنجليزى إدورد كريسى سنة ١٨٥١ فى كتابه (١٥ معركة فاصلة) وهذه ترجمته :

---

[١] ويتمنى مسيو كاود فاريز لو أن الجيش العربى كان أكبر من ذلك ليتم له سحق جيش شارل مارتل ، ويولى على فرنسا لتأخذ بثقافة العرب وحضارتهم وأدبهم ويكون لها ما لهم وعليها ما عليهم .

مكتبتنا العربية

« ... فجمع الكونت جموعه ، وحارب وهو على غير يقين بالفوز . فساقهم عبد الرحمن أمامه ، وطاردهم جنوده بما فى نفوسهم من الحماسة الناشئة عن انتصاراتهم الماضية وثقتهم التامة بالفوز . فضرب المسلمون أعداءهم ضربات حاطمة ، واجتازوا نهر غارون فدمروا البلاد ، وأخذوا الأسرى بدون عدد ولا إحصاء ، وسارت جيوش عبد الرحمن فى عرض البلاد الفرنسية سير العواصف الكاسحة لا تبقى ولا تذر . وتمادت الجيوش الإسلامية فى الرخاء والغنائم ، ودفع عبد الرحمن الكونت عن ضفاف النهر فارتد إلى حصونه ، فحاربه المسلمون وقهروه وانتزعوا منه حصونه وذبحوه بحد السيف وفازوا بخطف الأرواح . فارتاعت قبائل الإفرنج من هول الجيوش العربية وارتجفوا ، وذهبوا إلى ملكهم (كالدوس) وقصوا عليه الروع الذى ألقاه فرسان المسلمين فى نفوسهم ، وأنهم اجتاحوا بلاد نربون وتولوز وبوردو وأصبحوا أحرارا فى البلاد ، وأخبروه بموت الكونت قائدهم ، فطيب كالدوس قلوبهم ووعدهم بالنجدة .

وامتطى كالدوس صهوة جواده سنة ٧٣٢ م (سنة ١١٤ هـ) وقاد جيشاً لا يحصى عددا ونزلوا لقتال المسلمين ، فأدركهم فى نواحى مدينة تور العظيمة . ورأى عبد الرحمن وغيره من الزعماء انتقاض حبل النظام بين الجنود الإسلامية لاشتغالهم بالغنائم والأسلاب ، ولم يتجاسروا أن يغيظوهم بشىء . ووثق عبد الرحمن ببسالة جنوده ، وبيمن الطالع الذى رافقه . ولكن انحطاط الروح الحربية فى الجيش هو على الدوام آفة الآفات ، فهاجم عبد الرحمن وجيوشه مدينة تور ليغنموا الغنائم وحاربوها ببسالة قبلما أدركتها النجدة ، وكان صياح المجاهدين المسلمين كهياج النمور لدى فرائسها . ولكن الله أهملهم لتوغلهم فى الملاذ والأطماع الدنيوية ، فالتقى الجيشان قرب نهر (لوار) وهما مختلفان فى اللغة والدين والصفة المدنية (وكان ذلك يوم الجمعة ٧ شعبان سنة ١١٤ - ٢ أكتوبر سنة ٧٣٢) . وبدأ عبد الرحمن وجنوده الحرب بقلوب ملؤها الغضب والكبر ، وهجمت فرسان المسلمين على صفوف الفرنج بثبت هؤلاء لهم ثبات الأبطال ، وتكدست جثث القتلى إلى الجانبين ، وظلوا فى كر وفر إلى غروب الشمس ، وفصل ظلام الليل بين الجيشين .

واستأنف المسلمون القتال عند ضوء الفجر ، واخترق فرسانهم طريقاً إلى قلب الجبهة النصرانية ، ولكن قلوب كثيرين من المسلمين كانت مشغولة بالغنائم التى جمعوها فى خيامهم .

مكتبتنا العربية

وذاع فى صفوفهم نداء كاذب : إن الأعداء بغتوا المحلة (أى ساحة خيام المعسكر) ونهبوها . فبادر بعض فرسانهم للدفاع عنها وطرد الأعداء ، فظن إخوانهم أنهم انهزموا من الميدان ، فاضطربت جيوش المسلمين . وفيما كان عبد الرحمن يهدئهم ويسكن روعهم ليردهم إلى الميدان ، أحاط به محاربو الفرنج واخترقت صدره حرابهم فخر صريعاً ، فهرب جنوده أمام الأعداء ومات منهم خلق كثير » .

ويقول المؤلف الإنجليزى كريسى (تعليقا على ما نقله دون خوسيه انطونيو كوندو الإسبانى عن مؤرخى العرب) : ونكاد أن نجد إنصافا كهذا فى تاريخ الحروب القديمة ، وصراحة كالصراحة التى يصف بها العرب انكسارهم فى تور [1] . ولكن مؤرخى النصارى يخالفونهم فى بعض التفاصيل ، ولا خلاف بين الفريقين فى نتيجة المعركة ، وهى انسحاب العرب من فرنسا إلى ما وراء جبال بيرنه ، فانفرد شارل مارتل ثم ابنه بيبين بالحكم فى فرنسا ، وهم ملوك الدولة المارو فنجية الشهيرة ، فتأسست على أنقاض معركة تور (الإمبراطورية الرومانية الغربية) ، وتوج البابا شارلمان إمبراطوراً على فرنسا وألمانيا وإيطاليا سنة ٨٠٠ (١٨٤ هـ فى زمن أمير المؤمنين هارون) وبذلك بدأ التمدن المسيحى .

(آراء كتاب أوربا فى معركة تور)

من غرائب الأمور أن المعركة التى احتدم أوارها تحت سماء فرنسا قلما أعارها قدماء الكتاب الفرنسيين حقها من الاعتبار ، ولكن ما فاتهم لم يفت كتاب الإنجليز والألمان والعرب ، فوفوها حقها من الأهمية ، وكشف بعضهم صفاتها الفلسفية والاجتماعية . وإنى أورد هنا أقوال بعضهم على مسئولية كتابها :

١ — قال (جبون) المؤرخ الانجليزى الشهير : « إنها المعركة التى بها نجا آباؤنا البريطانيون وجيراننا الغاليون (أى الفرنسيون) من أبناء العرب والإسلام » . وقال

---

[1] المجلة ـ ونحن لا نرى أنه كان انكسارا ، فالافرنج خرجوا من المعركة خائرى القوى وعاجزين عن تعقب المجاهدين المسلمين ، وقد جاء ذلك عقب يأسهم من النجاة لولا تلك الخدعة التى صرفت فرسان العرب إلى خيامهم للمحافظة على ما فيها ، واعتقاد بعض الكتائب أن الذين انصرفوا للمحافظة على المعسكر قد انهزموا . أضف إلى ذلك وقوع البطل الأعظم الأمير عبدالرحمن بن عبد الله الغافقى شهيدا فى ساحة الجهاد

مكتبتنا العربية

فى المجلد الثانى من تاريخه ص ٧ : « لو لم يصد ذلك الهجوم لكانت العربية تدرس اليوم فى جامعات انجلترا وألمانيا [1] » .

٢ — وقال (شليفل) فى (تاريخ الفلسفة) ص ٣٢١ : « ذلك النصر العظيم الذى أحرزه شارل مارتل ، وبه نجا التمدن المسيحى فى غربى أوربا » .

٣ — وقال (ف . ل . برانك) فى (تاريخ جرمانيا) المجلد الأول ص ٥ : « إن حادثة القرن الثامن هى من أهم حوادث التاريخ كافة ، وبها وقفت الدعوة الإسلامية فى جانب والمسيحية فى جانب . وكانت غاليا (أى فرنسا) وإيطاليا بين نارين : العرب من الجنوب والجرمانيون الوثنيون من الشمال الشرقى . وقد قيض الفوز للتمدن المسيحى بيد الفتى الجرمانى الأصيل (شارل مارتل) الذى قاد البلاد إلى طريق النجاة » .

٤ — وقال (أرنولد) فى (تاريخ الإمبراطورية الرومانية) المجلد الثانى ص ٣١٧ : « إن فوز شارل مارتل أعظم كثيراً من فوز أرمينيوس ، وكانت له نتائج أرسخ فى حياة الجنس البشرى » .

٥ — وقال (درابر) : « قد وصل طرف الهلال العربى الواحد إلى البوسفور ، ووصل طرفه الثانى الى إسبانيا ، وامتد إلى فرنسا ، وكان يهدد أوربا ببلوغ البدر التمام فيمحو التمدن اللاتينى العتيد من الوجود ويغمر أوربا » .

٦ — وقال (إدوارد كريسى) : « كلما تذوقنا أهمية معركة تور زاد تقديرنا لأهميتها ، وبها نرى أنقاض الإمبراطورية الرومانية تتنازعها قوتان هما القبائل الجرمانية والجيوش العربية ، وكانت هاتان القوتان تتنازعان تراث أعظم إمبراطورية ظهرت فى التاريخ . وأخيراً اشتبكت القوتان فى تور . وقد وصف المؤرخ (جبون) الإنجليزى المعركة كوصف (هوميروس) معارك طروادة » .

كلمة شاعر مسيحى :

وأخيرا بعد هذه الإلمامة بتاريخ الوقعة كما دونها الأستاذ حنا خباز ، نورد القطعة الشعرية التالية بقلم شاعر من أبلغ مسيحيى ، وهو الأستاذ شبلى ملاط ، لما فيها من الروح العربية العالية ، قال :

---

[1] المجلة — العربية تدرس اليوم فى انجلترا وألمانيا ، ولم يرد (جبون) مجرد تدريسها ، وإنما أراد أن العربية كانت تدرس فى جامعات أوربا ، ولغة الحديث والتأليف والنشر فى أوربا كلها ، لو أن عبد الرحمن بقى يومئذ حيا إلى أن يكسب المعركة ويبسط نفوذ العقل العربى على أوربا .

مكتبتنا العربية

من للزمان بمثل فضل محمد ... وعدالة كعدالة الخطاب
رفع الرسول عماد أمة يعرب ... وأعزها بالآل والاصحاب
غشت الفتوح وصفقت راياتها ... فى الشرق فوق أباطح وهضاب
وتغلغلت فى الغرب طائرة على ... أكتاف صقر جارح وعقاب
لولا تجلد شرل مرتل خيمت ... فى قلبه بسرادق وقباب
ولكان صار الغرب أندلساً به ... شوقى يقول سواحراً وسوابى
حى الجزيرة فى مسارحها وما ... فى الريف من رى ومن إخصاب
واسمع فديتك نبرة مضرية ... عربية فى منطق خلاب
واستنشد القرآن قوماً جودوا ... منه بآى فى النفوس عذاب
واقرأ به فصحى اللغات مدلة ... فى المشرقين بجوهر الاحساب
أخذت قريش بحزلها وبكت بها ... غرناطة فى رقة وعتاب
لولا يد الإسلام لم تسلم بما ... فيها من الأخلاق والآداب
ولو ارعوى من صد عنها زاهداً ... متعللا بعناكب الاسباب
من لم يصن لغة الجدود فليس من ... قومية تنميه فى الانساب

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

كلمة الفيلسوف نيتشه :

ونختم هذا الفصل بكلمة إن لم يرد فيها ذكر معركة عبد الرحمن الغافقى وشارتل مارتل فقد ورد فيها ذكر الصدام الذى وقع بين حضارة الإسلام العربية الرحيمة ، وحضارة الغرب المادية القائمة على الجشع المنظم ، والختل المسلح بالجهل ثم بالعلم والثقافة الواسعة وهذه الكلمة مما عربه الأستاذ سلامة موسى من كلام الفيلسوف الأشهر (نيتشه) ، وذلك فى العدد ٣ من مجلة (المستقبل) لسنتها الأولى الصادر فى ٢٤ مايو سنة ١٩١٤ . قال الفيلسوف :

« لقد حرمتنا المسيحية من ميراث العـ ... ة القديمة ، ثم حرمتنا بعد ذلك من الإسلام .
لقد ديست بالأقدام تلك المدنية العظيمة ... الأندلس المغربية . ولماذا ؟ لأنها نشأت
من أصول رفيعة ، ومن غرائز شريفة ... غرائز رجال . إن تلك المدنية الإسلامية
لم تنكر الحياة ، بل أجابتها بالإيجاب ، و ... درها . ولقد قاتل الصليبيون تلك المدنية
بعد ذلك ، وكان أولى بهم أن يسجدوا ... ويعبدوها . وما مدنيتنا فى هذا القرن
... إلا فقيرة وانية بجانب مد ... ك الوقت ،

مكتبتنا العربية

طغيان الاستعمار وخطر الشيوعية

ما نأخذ من نظم الغرب وما ندع

قالت جريدة القاهرة :

استقبل حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر صحفياً ألمانياً يمثل صحفاً ثمانيا ، وهو اتو بونجراتش الذى قدم إلى مصر وسيسافر إلى سوريا ليوافى صحفه بمشاهداته فى الأقطار الإسلامية .

وقد سأل الصحفى فضيلته عن رحلته فى ألمانيا فقال فضيلته : كانت هذه الرحلة فى أيام الحرب الكبرى ، وكنت مع الأسرى الإفريقيين أتردد عليهم وأعود إلى برلين . وقد زرت ألمانيا مرتين : أولاهما استغرقت تسعة أشهر ، والثانية سبعة أشهر .

ثم سأل الصحفى الأستاذ الأكبر عن أهم مشكلة فى نظر المسلمين .

فقال فضيلته : إننا نعمل على التخلص من طغيان الاستعمار على حقوق الأوطان الإسلامية والعربية .

وسأل : إذا كانت روسيا من الدول الاستعمارية فما هو خطرها على العالم الإسلامى ؟

فأجاب فضيلته : إن الشيوعية نظام يخالف الإسلام ، والمبادىء الشيوعية يقف الإسلام فى وجهها ، ولن تروج عندنا ، وللأزهر وعاظه فى أنحاء القطر ومهمتهم نشر الفضائل الإسلامية ومقاومة التطرف فى أى صورة من صوره ، ولن تروج الشيوعية إلا عند أفراد لا يتخذون منها مذهباً أو عقيدة ، وإنما يجعلونها مغنما مالياً .

وسأل الصحفى الألمانى عن رأى الإسلام والمسلمين فى طرق الحياة الغربية عامة . فأجاب شيخ الأزهر : فى نظم الغرب ما يوافق الإسلام . وهنالك نظم وتقاليد يجرى عليها الغرب لا يقرها الإسلام . والذى يدعو إلى تقليد الغرب فى كل شىء مغالط .

ونحن نخالف هؤلاء الدعاة فيما يخالف تقاليدنا الإسلامية ، مثل إعطاء المرأة الحرية المطلقة .

مكتبتنا العربية

قال الصحفى : هل تقصد فضيلتكم أن تبقى المرأة على النظام القديم ؟ فأجاب : أعنى أنها لا تختلط بالرجال الأجانب عنها .

وسأل الصحفى الألمانى : هل على المرأة أن تطيع زوجها ؟

فأجاب : عليها الطاعة فيما هو الحق والمصلحة . وقص فضيلته معنى ما روى عن عمر ابن الخطاب : كنا معاشر قريش نغلب نساءنا ، فجئنا الأنصار وهم قوم تغلبهم نساؤهم ، فأخذ نساؤنا بأدب الأنصار وكلمت زوجتى فراجعتنى فى القول فأنكرت عليها ، فقالت : نساء النبي يراجعنه فى القول .

فنحن نريد زوجة تطيع فيما هو حق ، ولها أن تراجع زوجها متى كان الحق فى جانبها .

فلما قال الصحفى : ومن يحكم بين الزوجين فى الخلاف ؟

أجابه الأستاذ الأكبر : المدار على خلق الزوج . وإذا كان الخلاف كبيراً فالمرجع إلى القاضى ، مثل الخلافات المالية إذا عجز الأهل والأقارب عن حلها .

وهل يبيح الإسلام أن تشكو المرأة زوجها ؟

نعم ، لها أن تذهب إلى القاضى .

وانتقل الصحفى إلى أنه كان مع دربة شفيق ، وأنها تحتج على رأى الأستاذ الأكبر بالنسبة لتعدد الزوجات .

وهنا ابتسم فضيلة الأستاذ الأكبر وقال : تحتج على رأى الإسلام ؟ ... و .. الإسلام أباح تعدد الزوجات ، وليس للزوج أن يتعدى ما حددته الشريعة .

لقد اشترطت الشريعة العدل والإنفاق ورخصت للقادر أن يتزوج من أربع ، وإذا خشى عدم القدرة على الإنفاق كان عليه أن يقتصر على زوجة واحدة ، والحكمة فى تعدد الزوجات ظاهرة ، لأن الزوجة قد تكون مريضة وقد تكون عقيما ، والزوج يريد إنجاب الأولاد .

وكثيراً ما ترضى الزوجة أن تظل مع زوجها وتسمح له بالزواج من غيرها .

والرجل ممنوع شرعا من مباشرة غير زوجته ، فإذا لم يبح الإسلام له الزواج ربما ضاعت عفته .

ولما قال الصحفى : إن التعدد يشاهد كثيراً بين أفراد الطبقة الفقيرة ؟

مكتبتنا العربية

أجاب الاستاذ الأكبر بأن الإسلام اشترط العدل فى الإنفاق والمبيت . . . (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) ـ والعرب كانوا يكثرون من الزوجات ، فحارب الإسلام هذا الإكثار ونظمه وحدده .

واستفسر الصحفى عن معنى (الرجال قوامون على النساء) ـ وهل يدل ذلك على أن طبقات الرجال أعلى من طبقات النساء ؟

فقال فضيلة الشيخ . إن عقول الرجال أوسع من عقول النساء ، وفى النساء من هن أرجح عقلا . والقوامة للرجال من جهة المال والإنفاق على النساء ، والزوجة ذات المال غير مسئولة عن نفقتها ولا نفقة أولادها إلا إذا تبرعت بمساعدة الزوج أو الأولاد .

ومهمتها فى البيت مهمة عظيمة ، والإسلام لا يمنعها من التعلم والتثقيف ، على أن تباعد بينها وبين الاختلاط بالرجال الأجانب عنها .

والإسلام يرعى صالح المرأة ويحرص على كيان الأسرة لإنشاء المجتمع القوى فى الحياة .

استفتاء لغوى

لفضيلة الأستاذ الكبير محب الدين الخطيب أدام الله نفعه ، وأطال عمره

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ـ فإننى ممن يتابع قراءة مجلة الأزهر القيمة ، ولى شغف بتلك اللغويات التى يحبرها قلم الأستاذ المدقق محمد على النجار .

وقد أشكلت على كلمة أجدها كثيراً فى الصحف ، وأسمعها فى الإذاعة ، ولم أجدها فى القاموس المحيط ، ولا فى الأساس ، ولا فى مختار الصحاح . مما بين يدى من كتب اللغة ، وهى كلمة « بعثة » يقولون ذهبت بعثة مصرية إلى إيطاليا ، وجاءت « بعثات » أوربية فيجمعونها على « بعثات » ويريدون بها الجماعة المبعوثة ، والذى فهمته من كتب اللغة أن الجماعة المبعوثة يقال لها : « بعث » والجمع « بعوث » ، و « البعثة » للمرة ، يقال بعثته بعثة أى مرة ، فهل هذا التعبير الشائع صحيح ؟ هذا ما أردت السؤال عنه ، وأرجو من الأستاذ النجار التفضل بالجواب على صفحات المجلة المحبوبة . وله منى الشكر ، ولكم مزيد التحية والاحترام .

دمشق ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٧٣ أحمد نصيب الحاميد

مكتبتنا العربية

جدد نفسك

جددتُ بالأمس نفسي، وهي صافيةٌ ... وعدتُ أوقظ في دنياي أحلامي
ألهمتني الشعرَ، فاهتزت خمائلُه ... وفاضَ في موكب الأطيارِ إلهامي
والشعرُ يوقظ أقواماً ويبعثهم ... فكمْ بعثتُ به في الشرق أقوامي

* * *

مشت على (الفتح) أحداثٌ مؤرِّقةٌ ... وكنتُ أودَعته سرّي وآلامي
وعشت يغمرني نورٌ، ويرفعني ... (أبو قصي)... فكانتْ خير أيامي
إنا التقينا، وفي اللقيا لنا عبرٌ ... فانسابَ شعري، وغنّى في الربا جامي
تلك، المحاريب، هزتها سواجعها ... فالروض ما بين مياسٍ وبسّام
وفي رحاب الهدى جددت بيعتنا ... وصافح الليلَ... هذا الشاعرُ الظامي

* * *

دعائم الحق أرساها عباقرةٌ ... وطهروا الروض من رجسٍ وآثام
فموكب النيل يحدوه ملائكةٌ ... والقوم ما بين أطهارٍ وأعلام
فجدد النفس: وابلغ ما تشاء بنا ... من المكارم... قد جددتْ أنغامي

الزقازيق

صابر علي رمضان الجوشني

مكتبتنا العربية

المعاهدات فى الدول الاسلامية

حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

كتب مندوب « الأهرام » يقول :

آثر الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أن يستريح طيلة يوم أول أمس فى منزله ، وقد رأيت أن أقضى فى صحبته بعض الوقت . وطاب له أن يطرق مع زائريه مختلف الأحاديث فى عديد من الشئون العامة الهامة . وقد رأيت أن أنتهز هذه الفرصة الطيبة لأقف على رأى الإسلام حيال « المعاهدات » الدولية التى يبرمها الأقوياء مع الضعفاء ، وحيال المعاملة التى يصح أن يعامل بها المسلمون ضيوفهم من « الأجانب » الذين يقيمون بين ظهرانينا ، وقد تفضل فضيلته فاستهل حديثه بقوله :

العهود بين الدول :

لا شك أن العهود بين الدول فى أزمان السلم والحرب هى مناط الثقة فى الحضارة الإنسانية ، وعليها يتوقف الأمن الدولى العام ، والاستقرار الاقتصادى ، إذا قامت على أسس من العدل والإخلاص فى الوفاء .

الدس الخفى :

غير أن مما لا ينكره أحد أن أكبر العقول فى كل دولة تتجه عند تدوين المعاهدات إلى الدس الخفى . ليكون حجة فى التأويل عند الحاجة إلى ادعاء ما لم يكن واضحا منه فى وقت التدوين . وإذا كانت المعاهدات والعقود الدولية بين قوى وضعيف ، أو بين غالب ومن قضت عليه الظروف أن يكون مغلوبا ، فقد لا يبالى القوى بأن يتحمل عناء التأويل . وإن الإنسانية لا تنسى فى الحربين العالميتين تسمية الأقوياء للمعاهدات . بأنها « قصاصات ورق » ونستطيع أن نضرب الأمثال على هذا النوع من المعاهدات . وفى طليعتها صك الانتداب على فلسطين الذى تعهد فيه أصحابه تعهدا رسميا صريحا بعدم المساس بحقوق العرب ، وقد رأيت ما انتهى إليه ذلك الصك من الظلم الصارخ على أصحاب البلاد الذين سلبت منهم أوطانهم وأملاكهم وحقوقهم سلبا وقذف بهم فى العراء تحت الأمطار والعواصف .

مكتبتنا العربية

المعاهدة الملغاة :

بل إن معاهدة سنة ١٩٣٦ التى فرضت على مصر تحت ضغط قوات الاحتلال منصوص فيها على أنه لا يسمح للإنجليز بأن يكون لهم فى منطقة القنال إلا عشرة آلاف جندى . وخلافاً لذلك التعهد ضاعفوا عدد تلك القوة إلى ثمانية أضعاف ما تعهدوا به ووقعوا عليه .

المثل العليا :

واستطرد فضيلته فقال :

إن المعانى الإنسانية العليا ، ومدلولات الحق والعدل ، هى آخر ما يخطر على البال عند الدول الحديثة عند ما يجلسون إلى الموائد الخضراء ليكتبوا صيغ المعاهدات ونصوصها أما الإسلام فقد كان فى نصوصه وتطبيقها العملى دلائل قائمة على أن المعانى الإنسانية لها شأن كبير فى العهود التى يعقدها المسلمون مع غيرهم فى حالتى السلم والحرب . وأظهر ما تمتاز به هذه العهود إذا صدرت عن المسلمين أن تكون صريحة واضحة لا لبس فيها ولا إبهام . وكثيراً ما يراعى فيها المقابلة بالمثل بصرف النظر عن قوة أحد الطرفين وضعف الطرف الآخر .

الوفاء بالعهد :

ويرى فقهاء المسلمين أن المسلم إذا كان أسيرا فى يد العدو وأطلقوه بشرط أن يبعث إليهم مالا ، وإن عجز عن إحضار المال عاد إليهم ، لزمه الوفاء لهم عملا بقول الله عز وجل « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم » وقول نبيه ﷺ : « المسلمون على شروطهم » .

وفى منح الأمان للعدو من المعانى الإنسانية فى الشرع الإسلامى ما لا يوجد فى أى تشريع آخر قديم أو حديث . ومن المعقول أن يمنح الحاكم الأعلى امانا للأعداء جميعا ، ومن المعقول أيضا أن يمنح قائد جيش أمانا للجيش المقابل له ، ولكن مما لا يعرف إلا فى التشريع الإسلامى أن يصدر عن جندى عادى فى جيش إسلامى لجندى من جنود العدو . أو لبضعة جنود ، أو لقافلة كاملة ، ثم يصبح الجيش الإسلامى كله ملزما بقبول هذا الأمان والعمل به . إن هذا لا يعرف فى تاريخ الأمم إلا عند المسلمين وفى تشريعهم ، وإلى هذا يشير الحديث النبوى « ويسعى بذمتهم أدناهم » وقد أمضى النبى ﷺ تأمين أم هانىء بنت أبى طالب لرجل من الأعداء وقال لها النبى ﷺ : « قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء » هذا الخبر فى صحيح البخارى .

مكتبتنا العربية

ومن عجائب التشريع الإسلامى والمعانى الإنسانية العليا التى يرمى إليها أن الجيش الإسلامى إذا كان محاصرا لحصن أو بلد ، وتقدم له من الحصن أو البلد من يتطوع بفتح الحصن فى مقابل إعطائه الأمان ، ثم بعد فتح الحصن اشتبه أمره واختلط بغيره ، كان على الجيش الإسلامى أن يمتنع عن قتل الجميع والتعرض لحريتهم . لأن القاعدة الشرعية أن المباح إذا اشتبه بالمحرم وجب تغليب التحريم ، وفى الحالات التى يترتب فيها على ذلك ضرر حربى عام يؤخذ من أهل الحصن أى واحد بالقرعة ويعطى الأمان الذى كان موعودا به ذلك الشخص المتطوع بفتح الحصن . وفى كل الأحوال ينبغى للمسلمين إذا وعدوا بوعد أن يفوا بوعدهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

وفى مذهب المالكية أن الوعد إذا كان مسبباً ووقع السبب وجب الوفاء به . أما إذا لم يكن مسببا فالوفاء به من مكارم الأخلاق .

وإذا تبينت للجيش الإسلامى قرائن واضحة على أن العدو المعاهد يريد خيانة العهد ، فلا يجوز للمسلمين المبادرة إلى نقض العهد السابق بينه وبينهم اعتماداً على تلك القرائن مهما كانت قوية بل ينبذون إليهم عهدهم علانية ، وهذا منتهى النبل فى آداب الحرب بين الامم .

مايجب على المسلمين نحو الأجانب :

إن المخالفين للمسلمين ينقسمون إلى ثلاثة أقسام : محاربين ، ومعاهدين ، وذميين . فالمحاربون هم الذين حدثناك ببعض أحكام الإسلام المتعلقة بهم . والمعاهدون تقوم عهودنا معهم على أنبل الأسس الإنسانية ، وأقلها مراعاة قاعدة المعاملة بالمثل . والذميون ضمن لهم الإسلام أنفسهم وأموالهم وأعراضهم . . واجب على الحكومة الإسلامية حفظهم ، ومنع الغير من أذاهم . وانتقاذ من أسر منهم . والبلاد التى فتحها المسلمون فى زمن الصحابة كان فى إمكان الفاتحين أن يلغوا الأنظمة الدينية التى وجدوها فى البلاد ، ولكنهم لم يتعرضوا لها وأقروا رؤساء الأديان على ما كانوا عليه ، بل أحسنوا معاملتهم أكثر مما كان يعاملهم به الحكام السابقون الذين كانوا من أهل دينهم ، وأباحوا من الشعائر والطقوس والأحكام مالا تبيحه الدول الأخرى غير الإسلامية حتى فى زماننا هذا . والمنصفون من المؤرخين وغيرهم يعترفون بهذه الحقائق ، ولا سيما عند المقارنة بين الأنظمة والتشريعات . وكلما كان المواطنون - على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم - أكثر إخلاصاً لأوطانهم ومواطنيهم كانت السعادة أشمل لهم جميعاً وعاشوا مع مواطنيهم فى تعاون وتراحم وتبادل للحقوق على أحسن الوجوه وأسعدها .

وإلى هنا رأيت أن الشيخ الأكبر قد أوفى على الغاية فى وضوح ، فاستأذنت فضيلته فى نشر هذه الآراء الطيبة فأذن مشكوراً مقدوراً .

مكتبتنا العربية

الترجمة العربية لكتاب إيساغوجى

إيساغوجى
لفرفريوس الصورى ، نقل أبى عثمان الدمشقى
الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى
أستاذ الفلسفة المساعد بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول
القاهرة ١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ م

نشر هذا الكتاب الزميل المحترم ، وأراد من نشره له أن يكون عوناً على فهم كلام ابن سينا فى مدخله فى أول كتاب الشفاء ، لأن ابن سينا ، كما يقول : « لا ينفك يرجع إلى صاحب إيساغوجى ، آخذاً عنه تارة ، ناقداً إياه تارة أخرى . قادحاً فيه وذاماً تارة ثالثة » . وقد قدم الناشر لكتابه بمقدمة ضافية عن حياة فرفوريوس وفلسفته لا نريد أن نتعرض لها لأن الذى يهمنا هو نص إيساغوجى كما نشره الناشر ، وذلك لإبداء ما لنا من ملاحظات على ضبط النص ولا سيما أنه نص هام ، فهو كما يقول الناشر ، قد قصد به أن يكون معيناً على فهم كتاب المقولات لأرسطو ومدخلا له ، ولذلك كان ضبط النص المنشور لا يقل أهمية عن الغرض من نشره ، ومن جهة أخرى نريد من نقدنا هذا أن نصحح عمل الأستاذ الزميل تحقيقاً للفائدة الكاملة من كل بحث يوضع فى متناول المثقفين .

وقد اعتمد الزميل فى نشرته على صورة شمسية مأخوذة عن النسخة الوحيدة العربية لكتاب الأورجانون ، وهذا الجزء من المخطوط العربى واضح إلى حد كبير وسهل القراءة .

أما ما نلاحظه بوجه عام ، فهو قلة تدقيق الناشر فى ترقيم النص ، وسقوط كثير من الكلمات ، وسقوط جمل بأكملها أحيانا ، وذكر بعض الكلمات فى الهامش على أنها فى الأصل مخالفة لما هى عليه ، وكتابة كلمات على غير وجهها ، وقد نشأ عن هذا كله تغيير فى الصورة الدقيقة للفكرة أو تحريف فى المعنى . وهذا كله وليد السرعة .

وستكون ملاحظاتنا مقصورة على نص إيساغوجى فقط من الناحية الفنية ، تاركين

مكتبتنا العربية

الشروح التى جعلها الناشر فى آخر الكتاب - وكان يحسن أن تكون مع النصوص الخاصة بها - لأنه ترك كثيراً من الشروح ، وتاركين أيضا الكثير من الملاحظات المتعلقة بطريقته فى كتابة أسماء الأعلام باللغة العربية التى منها اسم فرفوريوس نفسه ، فالناشر يكتبه فرفريوس مع أنه موجود فى المخطوط فى أكثر من موضع على الصورة الصحيحة التى تجعله أقرب إلى أداء نطقه باللغات الأخرى .

ص ٦٨ س ٣ - ٤ : نص الناشر : « يقال جنس لجماعة قوم لهم نسبة بوجه من الوجوه إلى واحد أو لبعضهم إلى بعض » . ويقول الناشر فى الهامش ، إن عبارة : أو لبعضهم ، يقابلها فى الأصل : ولبعضهم وبدلا من أن يتابع الأصل اختار تعديله وجعله : أو لبعضهم . والنص الأصلى أصح ؛ ذلك لأن الجنس يطلق على جماعة ينتسبون إلى أصل واحد ، فبينهم وبينه نسبة وبينهم نسبة بعضهم لبعض . وهى مستمدة من النسبة الأولى ، وكلمة : أو ، ربما تفيد الانفصال بين النسبتين ، على حين أن النسبتين مرتبطتان ارتباطاً ضرورياً . والمقصود هو أن فكرة الجنس تتضمن النسبتين معاً .

وبمراجعة الترجمة الفرنسية والألمانية لإيساغوجى نجد فى كل منهما حرف العطف البسيط الدال على الجمع بين المعطوفين والنسبتين ، وهو كلمة et و und .

ولا يبقى أى شك بعد مراجعة الأصل اليونانى ، حيث نجد حرف العطف لا يقبل الترجمة بحرف آخر .

ص ٧٠ س ٣ - ٤ : نص الناشر : « فالأجناس تخالف الأشياء التى تحمل على شىء واحد فقط بما توصف به من أنها تحمل على كثيرين » . والمعنى فاسد بسبب الخطأ فى النقل عن الأصل المخطوط ، ففيه : « ... بما توصف به من أنها ... » ، ووجه صحة الأصل هو أن الأجناس تختلف عن الأشياء التى تطلق على شىء واحد بأنها تحمل على أشياء كثيرة ، وتتفق الترجمتان الفرنسية والألمانية فى ترجمة هذه الكلمة بما يعادل الترجمة العربية بلفظ « بما » ويعادل الأصل اليونانى أيضاً .

ص ٧١ س ٧ - ٨ : نص الناشر : « فأما النوع فقد يقال على صورة كل واحد بمنزلة ما قيل : أما أولا فصورته مستحقة لذلك » .

وفى المخطوط الذى اعتمد عليه الناشر ، وهو الصواب أيضاً ، نجد الشطر الأخير من النص هكذا : « ... بمنزلة ما قيل : « أما أولا فصورته مستحقة للملك » .

مكتبتنا العربية

ومن الغريب أن الناشر كما يدل عليه كلامه فى الهامش قد رأى تعليق تريكو (Tricot) ، مترجم إيساغوجى إلى الفرنسية ، على هذه العبارة المنسوبة إلى أوريبيديس (أو : أوريفيدس بوجه أدق) . ويترجمها تريكو جاعلا بدل كلمة الصورة كلمة بمعنى الجمال .

ويقول الناشر فى الهامش : إن العبارة بيت شعر لأوريبيدس ، والصورة بمعنى الجمال ، وفى هامش المخطوط العربى : « فصورته أى نوعه » ، وعلق تريكو (المترجم الفرنسى) على هذا النص بما يفيد هذا الرأى . ولا يمكن معرفة هذا الرأى الذى يقصده الناشر ؛ فإن كان يتعلق بأن الصورة بمعنى الجمال . فمن المعلوم أن الكلمة اليونانية وهى المقابلة لكلمة الصورة تدل إلى جانب دلالتها على النوع المقابل للجنس فى المنطق ، على الصورة عند أرسطو وعلى المثال الأفلاطونى ، وتدل أيضاً على صورة الخلقة ومظهر الإنسان وعلى الجمال والشمائل الإنسانية بوجه عام .

أما ما يقول الناشر عنه إنه موجود فى هامش المخطوط العربى فغير موجود فى الهامش وإنما توجد فى المتن فوق كلمة : فصورته . كلمة : أى نوعه ، وذلك على سبيل الشرح لكلمة صورة . أما الذى فى الهامش فهو هذه العبارة المفيدة التى لم يذكرها الناشر لا فى مكانها ولا فى التعليقات التى جمعها فى آخر كتابه ، وهى فى أعلى الأصل العربى إلى الشمال ، فهى : « هذا قاله بعض الشعراء فى أغاممنن لما رآه ، ويقال إنه أودساوس ، ويقال إنه أوريفيدس » .

أما الشرح الذى فوق كلمة « فصورته » ، فهو غير موفق فى هذا المعنى الذى تستعمل فيه كلمة صورة . لأنها بمعنى صورة الخلقة وإلا كان النوع كله مستحقا للملك ، وهذا مستحيل .

فإذا كان تعليق تريكو المترجم الفرنسى خاصاً بدلالة الصورة على النوع فى هذا المقام فلا شك أنه تعليق خطأ أيضاً . وصاحب إيساغوجى يصرح بالمعنى فيقول : « صورة كل واحد » ، مما يؤكد قصده بوضوح .

س ٩ : يقول الناشر : إن عبارة : وصفنا يقابلها فى الترجمة الفرنسية : وصفنا ، ولكن هذا غير صحيح لأن معنى العبارة الفرنسية هو : الجنس المذكور أو المبين أو ما أشبه ذلك ، وخصوصاً أن الكلام قد تقدم عن الجنس قبل ذلك .

ونجد فى الأصل اليونانى ما يمكن ترجمته بقولنا الجنس المذكور أو المتقدم ذكره .

ص ٧٢ س ١ - ٤ : نص الناشر : « وقد يصفونه (أى النوع) أيضاً على هذه الجهة : النوع هو المحمول على كثيرين مختلفين بالعدد من طريق ما هو . ولكن هذه الصفة أيضاً هى لنوع الأنواع ، ولما هو نوع فقط » .

مكتبتنا العربية

وفى المخطوط الاصلى : « ... ولكن هذه الصفة إنما هى لنوع الأنواع ولما هو نوع فقط » .

واستعمال كلمة « أيضا » ، بدلا من كلمة « إنما » ، أفسد المعنى ، خصوصاً لان الكلام التالى مباشرة يؤيد استعمال كلمة « إنما » وتدل الترجمات الأجنبية لإيساغوجى على صحة الاصل العربى المخطوط ، فليس فيها مايقابل كلمة أيضا ، وليس فى الأصل اليونانى مايقابلها بل نجد فى هذا الأصل كلمة تدل على التأكيد البسيط .

ص ٧٥ س ١٢ - ١٣ : نص الناشر : « فأما النوع فليس يحمل إلا على الجنس القريب منه ، ولا على الأجناس التى فوق ذلك الجنس ، لانها لاتنعكس » . وفى المخطوط الأصلى نجد النص هكذا : « ... فأما النوع فليس يحمل لا على الجنس القريب منه ولا على الأجناس التى فوق ذلك .

ومن الواضح أنه بمراعاة المخطوط الأصلى يزول التناقض الموجود فى الكلام السابق واللاحق كما نشره الناشر .

ص ٧٦ س ١٤ — ١٧ : نص الناشر : « فالنوع إذن يحوى الأشخاص ، والجنس يحوى النوع ؛ لأن الجنس كلٌّ ما ، والشخص جزء ، والنوع كل وجزء ، غير أنه جزء لشىء آخر ، وليس هو كل لآخر ، لكنه كل فى أجزاء ، ذلك أن الكل فى الأجزاء » . وجاء فى المخطوط الأصلى ما يلى : « غير أنه جزء لشىء آخر ، وليس هو كل لآخر ، لكنه كل فى آخر ، وذلك أن الكل فى الأجزاء » .

والمعنى بحسب المخطوط الأصلى أصح وخال من التكرار الذى لا قيمة له ، وهو مطابق للأصل اليونانى ومتفق تمام الاتفاق مع الترجمتين الالمانية والفرنسية .

ص ٧٩ س ١٧ - ص ٨٠ س ١ : « وقد يحدُّون هذه الفصول ويقولون : إن الفصل هو الذى يفصل النوع على الجنس . وذلك أن الإنسان له شىء يفضل به على الحى . وهو الناطق والمائت : لأن الحى ليس هو واحداً من هذين ، وإلا فمن أين اقتنت الأنواع فصولا ؟ ولا الفصول أيضاً المتقابلة بأجمعها له ، ولا صارت الفصول المتقابلة لشىء واحد بعينه معاً » .

والخطأ فى هذا النص فى الشطر الأخير منه ، حيث قرأ كلمة « وإلا » ، على أنها : ولا .

وبذلك ضاعت معالم التقابل المنطقى فى الكلام وأصبح كأنه بلا نتيجة . فيجب تصحيح النص هكذا : « ولا الفصول أيضاً المتقابلة بأجمعها له ، وإلا صارت الفصول المتقابلة لشىء واحد بعينه معاً » . وربما كان يكون من الخير ولأجل مصلحة القارىء أن توضع الجملة المعترضة الأولى بين شرطتين ، لكى يمكن إدراك تسلسل الفكرة .

مكتبتنا العربية

ولما كان صاحب إيساغوجى يقول فى هذا الموضع : إن النوع يفضل على الجنس ويقول بعد ذلك (ص ٨٦ س ٨) إن الجنس يفضل على النوع ، فقد كان من الخير التعليق على هذين الموضعين بما يسهل على القارىء الفهم ، ولا سيما أن نص الترجمات الأوربية لإيساغوجى ، سواء منها الفرنسية أو الألمانية ، يشتمل على ما يبين أن فضل النوع على الجنس من حيث المفهوم لأن معنى الإنسان مثلا أغنى مضمونا من معنى حيوان .

ص ٨٧ س ١٢ — ١٣ : هذا الجزء داخل فى القطعة المخرومة من الأصل العربى ، وقد ترجمها الناشر عن الفرنسية . وهذه الترجمة ليست دقيقة تماماً . لكن المهم هو أن بعض أجزائها بعيد جدا عن التعبير عن معنى النص الفرنسى

نص الناشر : « وأيضا فإن الخاصة تحمل على الشىء الذى هى خاصة له ، فأما الجنس فلا ينعكس » .

وهذه العبارة تدخل ضمن بيان الاختلاف بين الجنس والخاصة : فالجنس يحمل على أنواع كثيرة ، ولكن ليس بينه وبينها تبادل فى الحمل . فلو قلنا مثلا إن الإنسان حيوان فإننا لا نستطيع أن نقول : الحيوان إنسان ، وليس بينهما تلازم فى الوجود ، فلا يتحتم إذا وجد الحيوان أن يوجد الإنسان ، أما الخاصة فهى تحمل على أشياء هى خاصة لها ، ثم إن بينها وبين ما تحمل عليه تبادلا تاما فى الحمل وتلازما تاما فى الوجود : فنستطيع أن نقول الإنسان ضحاك ، وأن نقول فى نفس الوقت الضحاك إنسان . وإذا كان الانسان موجوداً فالضحاك موجود والعكس . والترجمة العربية الصحيحة للترجمة الفرنسية ينبغى أن تكون هكذا.

« وأيضاً فإن الخاصة تحل فى الحمل محل ما هى خاصة له ، على حين أن الجنس لا ينعكس بتة » .

ومن الواضح أن ترجمة الناشر لا تبين الفرق المقصود بيانه ، مع أن الكلام التالى يعين فى الترجمة الصحيحة وفى ترجمة فرنسية أخرى نجد العبارة تصير بالعربية هكذا :

« وأيضاً فإن الخاصة ذات حمل متبادل مع الشىء الذى هى خاصة له ، فأما الجنس فليس له هذا الحمل بتة » .

والترجمة الألمانية أوضح وإذا نقلت إلى العربية تصير هكذا :

« والخاصة وما هى خاصة له يقال أحدهما على الآخر بالتبادل ؛ وليس الجنس كذلك ، أما النص اليونانى فإن ترجمته هى : والخاصة تبادل الحمل ما هى خاصة له ، أما الجنس فلا يبادل الحمل (= الخاصة تنعكس فى الحمل على ما هى خاصة له . أما الجنس فلا ينعكس =) والخاصة تكافىء فى الحمل ما هى خاصة له ، أما الجنس فلا يكافىء

مكتبتنا العربية

على أن فى ثنايا النص العربى لإيساغوجى مايدل على الفكرة تمام الدلالة .

فنجد (ص ٩١ س ٨ - ٩) : « فأما الخواص فإنها تكافىء فى الحمل الأشياء التى هى لها خواص ، من قبل أنها تنعكس عليها » ، (ص ٩٤ س ٣ - ٤) : « وذلك أن الخاصة قد تكافىء فى الحمل الشىء الذى توجد له » .

ونجد (ص ٩٢ س ٨) : ويعم النوع والخاصة أن أحدهما يكافىء الآخر فى الحمل ، وذلك أن الإنسان إذا كان موجوداً ، فالضاحك موجود ، والضاحك إذا كان موجوداً فالإنسان موجود .

وليس من شك فى أنه يمكن مع العناية بتتبع نص إيساغوجى أن يترجم الجزء المخروم ترجمة دقيقة من حيث المعنى وحتى من حيث الألفاظ ، فلا تكاد توجد فى إيساغوجى عبارة أو فكرة إلا تكررت .

ص ٩١ س ١٣ : نص الناشر : « ويعم الفصل والأعراض غير المفارقة أنهما يوجدان فيه دائماً ، وجميعه » . والمعنى مبتور لأن الأصل المخطوط هو هذا :

« ويعم الفصل والأعراض غير المفارقة أنهما يوجدان لما يوجدان فيه دائماً وجميعه » .

ص ٩٤ س ٢ - ٣ نص الناشر : « ... فليس (السواد) يوجد للزنجى وحده ، بل قد يوجد أيضاً للغراب ، والفحمة ، والأبنوس ، ولأشياء غير متنفسة » ، والنص فى المخطوط هكذا أيضاً .

غير أن عبارة « غير متنفسة » تستلفت النظر ، لأن الكلام عن السواد ، باعتباره عرضاً غير مفارق بالنسبة للزنجى ، يوجد لأشياء أخرى ، فما معنى ذكر الأشياء غير المتنفسة فى سياق عام لأشياء ليس لها حدود .

وقد تبين بمراجعة الترجمة الفرنسية لأكثر من مترجم ، ومراجعة الترجمة الألمانية ، أن الذى يقابل عبارة غير متنفسة ، هو مامعناه : أشياء أخرى . ولا شك أن كلمة : غير متنفسة العربية تحريف عن كلمة : غير متعينة ، وبهذا يتفق النص العربى لإيساغوجى مع الترجمات الأخرى اتفاقاً أقرب .

وفى الأصل اليونانى نجد فى هذا الموضع مايفيد « ولأشياء أخرى غير معينة » ، وإذا نظرنا فى كلمة الأصل اليونانى فى هذا الموضع تبين لنا أن الترجمة العربية لإيساغوجى قد بلغت منتهى الدقة .

مكتبتنا العربية

وثم ملاحظات أخرى أقل شأناً مما تقدم وهى تتصل بكلمات أو جمل سقطت من الناشر ، أو كلمات حرفت أو زيدت . وكانت الدقة تحتم النقل عن المخطوط كما هو (١) .

هذه أهم ملاحظاتنا على نص إيساغوجى كما نشره الزميل . وإنما أحببنا أن نكتب هذا النقد ليستفيد به من يقرأ إيساغوجى .

وتركنا أخطاء قليلة الأهمية كما تركنا أخطاء أخرى كثيرة فى ضبط الشروح التى انتزعها الناشر من مكانها وجعلها فى آخر الكتاب بعيدة عن موضعها الذى يمكن من الاستفادة منها فيما هى شرح له .

ولا يمكن أن يستفيد أحد الفائدة الحقيقية من نشرة الزميل لإيساغوجى إلا بعد تصحيحها على النشرة القيمة الصحيحة التى أكمل بها الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوى المجلد الثالث من منطق أرسطو ، مزوداً بالشروح والتعليقات راجعاً فى تحقيق الترجمة العربية العتيدة إلى الأصل اليونانى .

ولولا أننا أردنا أن نحقق بعض المواضع فى نشرة الزميل الأستاذ الأهوانى بالرجوع إلى المخطوط الذى اعتمد عليه وبالرجوع إلى الترجمات المختلفة لكان فى الإحالة على نشرة الأستاذ بدوى ما يغنى عن كل ما قلناه .

وبعد فإننا نرجو أن نكون قد حفلنا بجهد زميلنا الأستاذ الأهوانى على النحو الذى يرضى الباحث عن الحقيقة ويحقق الخير للقراء .

الدكتور

محمد عبد الهادى أبو ريدة

---

(١) المجلة — وقد أورد الكاتب كثيرا من هذه التصويبات ، ولأنها لا ينتفع بها إلا من عنده نسخة من الكتاب اقتصرنا على نشر ما تقدم . وقد اطلع الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى على ملاحظات زميله فسيكتب إلينا الفصل الآتى .

مكتبتنا العربية

فى أصول النشر

اطلعت على التصويبات التى ذكرها الزميل الدكتور عبد الهادى أبو ريدة لكتاب « إيساغوجى » لفرفريوس الصورى ، نقل أبى عثمان الدمشقى ، وإنى أشكر له عنايه فى تعقب النص والرجوع إلى الاصل المخطوط .

غير أن معظم تصويباته ترجع إلى اتخاذه أصولا للنشر تختلف عن الاصول التى نعتمد عليها . ذلك أن « إيساغوجى » مترجم عن السريانية ، لا عن اليونانية ، كما يتضح من تعليقات الحسن بن سوار الذى يشير إلى النقول السريانية الموجودة فى زمانه . والنص السريانى مفقود ، وبذلك تتعذر الموازنة بين الترجمة العربية وبين النقل السريانى . ولهذا السبب كنت أرجع إلى الأصل اليونانى فى ترجمته الفرنسية على سبيل الاستئناس ، لا على سبيل تقويم النص العربى . لان تغييره يعد تغييراً فى النص لا غلكه . وقد نبهت إلى بعض هذه الاختلافات فى الهامش ، وأبقيت النص العربى على حاله . ولكن الدكتور أبو ريدة يذهب مذهباً آخر هو الاعتماد على النص اليونانى ، مما يخرج نشر المخطوط العربى عن حاله .

مثال ذلك لفظة « وصفنا » ص ٧١ التى وردت فى هذه العبارة « وقد يقال نوع أيضا المرتب تحت الجنس الذى وصفنا » . وهى فى الأصل اليونانى والترجمة الفرنسية عنه « وضعنا » وكنت أستطيع تغيير النص العربى ، ولكنى لم أفعل حفظاً للأصل ، ولان الناقل العربى ، وهو أبو عثمان الدمشقى ، جرى على استعمال لفظة الوصف دون الوضع خلال الكتاب بأسره . وسبب ثالث هو ائتلاف لفظة الوصف مع اللسان العربى ، هذا إلى أنها تفيد المعنى ولا تبعد عنه كثيرا . يضاف إلى ذلك أن الدكتور عبد الرحمن بدوى الذى امتدح نشرته ، أبقاها كما هى ولم يعلق عليها .

ومثال آخر جره إليه تمسكه بالأصل اليونانى ، هو قراءة لفظة « متنفسة » هكذا « متنفلة » وهى فى المخطوط كما قرأتها ، وكذلك قرأها الدكتور عبد الرحمن بدوى ، وهى

مكتبتنا العربية

تستقيم مع السياق العربى إذ العبارة كما يأتى « ... السواد ، فليس يوجد للزنجى وحده ، بل قد يوجد أيضاً للغراب ، والفحمة ، والابنوس ، ولاشياء غير متنفسة » . فالمقصود بالاشياء غير المتنفسة هى كالفحمة والابنوس ، وغير « متعينة » التى يقترح زميلنا الدكتور أبو ريدة قراءتها لا تستقيم فى اللسان العربى ولو أراد الناقل هذا المعنى لقال « وما أشبه » .

وما دمنا بصدد الحديث عن الترجمة ، وذلك فيما يختص بالصفحة المفقودة من الاصل العربى والتى نقلتها ، فإنى أخالف الدكتور أبو ريدة فى الترجمة التى يقترحها لهذه العبارة « وأيضاً فإن الخاصة تحمل على الشىء الذى هى خاصة له ، فأما الجنس فلا ينعكس » . ذلك أن اقتراحه « تبادل الحمل » اقتراح لا يمكن أن يؤخذ به ، إذ ينبغى أن نلتزم روح المترجم العربى الذى جرى عليه ، ولم نسمع أن مناطقة العرب قالوا بتبادل الحمل .

وقد تعجب الدكتور أبو ريدة من رسم « فرفريوس » هكذا بدون الواو التى تفصل بين الفاء والراء ، كما جاء فى المخطوط . وقد فعلت ذلك عن قصد ، سواء فى المقدمة التى كتبتها عن حياة فرفريوس ، أو فى المخطوط ، وذلك لأن المناطقة فيما بعد تخففوا من الواو لأن الضمة تكفى بدلا عنها . أما قوله إن هذا الرسم أقرب إلى اليونانية ، فأقرب منه إذا شاء التزام اللغة اليونانية أن يرسمها پرفوريوس ، فالفاء الأولى ليست فاء ، ولكنها باء ثقيلة ، استثقلها العرب فنطقوها من الشفة فاء .

وهناك أصول أخرى تختص بقراءة النص المخطوط . ويرجع هذا الأصل إلى طريقة الكتابة فى العصور المختلفة . فلكل نوع من الخط قاعدة وطريقة ، ولكل ناسخ أسلوب ولوازم . ومن جملة تلك اللوازم كتابة « واو » العطف فى أول الكلمة بحيث تشتبك مع الكلمة نفسها ، والواو تشبه فى كثير من الاحيان حرف الفاء ، ولذلك تشتبه القراءتان ويرجحهما المعنى والسياق . وقد جرى الدكتور أبو ريدة على قراءة الواو التى أفرؤها فاء ، وعلى قراءة الفاء واواً ، فإذا أثبت « وكما » قرأها « فكما » وهكذا . وهذا ذوق فى القراءة أعتقد أنه لا يأتى إلا من معاناة النشر والاطلاع على أساليب النساخ . وهذه التغييرات لا قيمة لها . ومن هذا القبيل أن قدماء النساخ ما كانوا ينقطون الحروف بل يتركونها معجمة ، وكذلك لا يضعون شرطة الكاف بحيث تلتبس مع اللام . ومن

مكتبتنا العربية

أجل ذلك يتحير الناشر فى قراءة « كذلك » أهى « لذلك » والتصويبات التى من هذا القبيل ترجع إلى اللبس المذكور ، وهى لا تغير المعنى كثيراً ، إذ فى بعض الأحيان لا تكون « لذلك » نتيجة عن مقدمات ويستوى معها استعمال « كذلك » .

وننتقل إلى قراءات يرجحها المعنى ، من ذلك ما ذهب إليه الدكتور أبو ريدة مخالفاً إياى فى قراءة واو العطف ، التى نبهت عليها فى الهامش أنها كذلك وصححتها فى المتن وجعلتها « أو » . والوجه الذى أثبته هو عندى أليق ، دون حاجة إلى بيان الفرق اللغوى بين أو والواو وكذلك اعتراضه على شكل بعض الألفاظ . ولست أدرى كيف يريد أن يضبطها ؟ أما رجوعه إلى الأصل اليونانى أو إلى الترجمة الفرنسية فلا يفيده شيئا فى ضبط الكلمة ، وكنا نود أن نرى الوجه الذى يقترحه هو .

فهذه عدة أصول فى فن النشر تختص بالكتب المترجمة قديما ألخصها فيما يلى :

أولا : الاعتماد على النص العربى مع الاستئناس بالأصل اليونانى بالإضافة إلى تراجمه الفرنسية والإنجليزية ، مع العلم أن العبارة اليونانية تفهم على أوجه كثيرة ، ولذلك تعددت التراجم الأجنبية فى اللغة الواحدة لاختلاف المترجمين فى فهم الأصل اليونانى .

ثانيا : معرفة قاعدة رسم النساخ للكتابة العربية عموماً . وقاعدة الناسخ الذى نرجع إليه ، وهذا شىء لا يكتسب إلا مع طول الخبرة والممارسة .

ثالثا : التزام الذوق العربى فى كتابة الألفاظ الأجنبية ، وفى ترجيح العبارات .

رابعا : معرفة موضوع العلم الذى ينشر معرفة تامة حتى يدرك المقصود .

وإنى أكرر الشكر للزميل الذى أتاح لى فرصة الحديث عن النشر وأصوله وطرقه . ولعلنى أفصل هذا الحديث مرة أخرى بناء على ما اكتسبته من خبرة بعد طول النظر فى المخطوطات المختلفة والتى نشرتها فى الفلسفة ؟

أحمد فؤاد الأهوانى

مكتبتنا العربية

لغويات

تجنبوا الفوضى والاضطراب ـ أمر القوم شتى

يرى القارىء استعمال (الفوضى) فى الكتابة والحديث كما فى الاستعمال المدون. والفوضى فيه بمعنى الحدث. ويعنى بها مخالفة النظام وتجنب المنهج السوى.

وهذا الاستعمال لا يقف عليه الناظر فى الكلام العربى. وإنما ترد (الفوضى) مورد الوصف، ويعيى الباحث أن يجد ما يساوق الاستعمال العصرى.

ويذكر اللغويون للفوضى الموارد الآتية :

١ — فيقال : قوم فوضى أى متساوون لا رئيس لهم. ومن هذا قول الأفوه الأودى من قدماء شعراء الجاهلية وحكمائهم فى قصيدته [1] الحكمية الاجتماعية :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

ومن هذا قول الزمخشرى فى المفصل فى مبحث الحرف حين ذكر حروف الإضافة أى حروف الجر : « سميت بذلك لان وضعها على أن تفضى بمعانى الأفعال إلى الأسماء. وهى فوضى فى ذلك، وإن اختلفت بها وجوه الإفضاء » ويقول ابن يعيش فى شرحه [2] له : « وهى متساوية فى إيصال الأفعال إلى ما بعدها وعمل الخفض، وإن اختلفت معانيها فى أنفسها. ولذلك قال : هى فوضى فى ذلك أى متساوية : يقال : قوم فوضى أى سادة لا رئيس لهم ». وأكبر الظن أن الذى بعث الزمخشرى على إيثار (الفوضى) فى هذا الموطن الرغبة فى التجنيس مع « تفضى » و « الإفضاء ».

٢ — ويقال : قوم فوضى : مختلطون، ونعام فوضى : مختلط بعضه ببعض. ويقال : جاء القوم فوضى أى مختلطين، والمال فوضى بين القوم أى مختلط : من أراد منهم شيئاً

---

(١) توجد كاملة مع غيرها مما عثر عليه من شعره فى الفرائد الأدبية من مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر.

(٢) ص ٧ ج ٨.

مكتبتنا العربية

أخذه . ومن هذا ما جاء : كانت خيبر فوضى أى مشتركة بين الصحابة غير مقسومة ؛ كما فى المصباح .

٣ ــ ويقال : الوحش فوضى فى الفلاة ، أى متفرق يتردد ويجول فيها . وهذا قريب من المعنى السابق . ومنه قول أبى العلاء المعرى من قصيدة [١] له فى سقط الزند :

دع الطير فوضى إنما هى كلها طوالب رزق لا تجىء بمفظع

يقول هذا فى النهى عن زجر الطير وترقب حركاتها ليتعرف منها ـ كما كانوا يزعمون ـ عاقبة أمرهم . فهو يقول : دع الطير يتردد فى مجاله ، ولا تتعرض له للاستنباء من حركاته عما سيكون . فإنما يتردد لطلب الرزق ، ولا صلة لحركاته بما يخشى من الامور .

وترى أن أكثر موارد (الفوضى) أن تقع من وصف الجمع . وقد تقع من وصف المفرد كما رأيت فى قولهم : المال فوضى بين القوم ، وفى المخصص ١٥ / ١٨٥ : « ويقال : متاعهم فوضى بينهم إذا كانوا فيه شركاء » . وترى أن استعمالها فى معنى الحدث كما تستعمل فى هذه الأيام لم يأت فى مواردها اللغوية .

وقد بدا وجه من تصحيح الاستعمال المشهور : أن يقدر موصوف محذوف . فإذا قيل : وقع الناس فى الفوضى فالتقدير : فى الأمور الفوضى أى الأمور والشئون المختلفة المتفرقة ، وكذلك إذا قيل : وقعت الفوضى فمعناه : الشئون الفوضى . ويضعف من هذا الوجه أن التقدير لا يخطر ببال المتكلمين بهذا الأسلوب ، ومن الخير أن يعدل الكتاب عنه إلى السنن القويم والنهج الواضح .

ويبقى بعد هذا فضل بحث فى (الفوضى) من جهة بنائها ، ومن أى ضرب هى من ضروب الأسماء ؛ فهل هى مفرد أو جمع ؟ وإلى أى مادة لغوية يرجع كيانها ؟

وأقدم مانلفيه فى الكلام عليها نجده فى كتاب [٢] سيبويه إذ يقول : « فأما فَعْلى فعلى الأصل فى الواو والياء . وذلك قولهم : فَوْضى وعَيْثى ، يريد أن ما جاء على وزن فعلى ـ بفتح الفاء ـ وكانت عينه واوا أو ياء فإنهما يصحان ولا يعلان . وعَيْثى مؤنث عَيْثان من العيث أى الإفساد . فعَيْثان : مُفسد ، وعَيْثى : مفسدة . وهذا كما يقال سكران وسكرى .

---

(١) انظر شروح سقط الزند ص ١٥٣٠

(٢) ص ٣٧١ ج ٣

مكتبتنا العربية

وترى أن سيبويه لم يُبن عن أمرها : أمفرد هى أم جمع ؟

ويجيب عن هذا الأزهرى فى التهذيب إذ يقول : « صار الناس فوضى أى متفرقين . وهو جماعة الفائض . ولا يفرد كما يفرد الواحد من المتفرقين ، فالفوضى عنده واحدها الفائض . و(الفائض) هذا من فاض يفوض لا من فاض يفيض حتى يتسق مع الفوضى التى عينها واو . ويذكر الأزهرى أن هذا الوصف المفرد لم يستعمل ، إذ لم يستعمل فعله ، فلم يرد فاض يفوض ، وإنما ورد من الأفعال المزيد ، يقال : « فوضت أمرى إلى الله » . وإذاً فالوارد من هذه الصيغة الجمع فقط .

والقارىء بعد هذا له أن يعقب على كلام الأزهرى وغيره بهذين السؤالين !

١ — إذا كان (الفوضى) جمعا فما باله جاء للمفرد على ما تقدم ؟

٢ — وما بال الفعل (فاض يفوض) لم يستعمل هو ولا وصفه المفرد (فائض) ؟

وإنى أعرض تخريجا لى فى هذا المقام على بساط البحث والنظر .

فالأصل مادة الفض . وهو يكون للكسر والدق . ومن ذلك قوله ﷺ للعباس : لا يفضض الله فاك أى لا يكسر أسنانك ، والفم هنا الأسنان : كما يقال : سقط فوه أى أسنانه وكذلك دعا الرسول ﷺ بهذا الدعاء للنابغة الجعدى حين أنشده قصيدة استحسنها عليه الصلاة والسلام . ويقال من هذا : فض الجماعة : فرقها ، لما كان الكسر ينشأ عنه التفريق . وقد تفرع عن هذا الفيض فى قولهم : فاض النهر إذا جاوز الماء مجراه ، فإن ذلك فيه تفرق وعدم التئام .

ومن الفض يقال : الفضيض أى المفرق ، وهو فعيل فى معنى مفعول ، وهذا إذا أشير بنقص أو عيب يجمع على فعلى ، كجريح وجرحى وأسير وأسرى . فكان القياس فى جمع الفضيض أن يقال : الفضَّى ، ويظهر أنهم استثقلوا هذا لما فيه من التضعيف الذى قد يتجنبه العرب ، فقالوا فيه : الفوضى ، بإبدال أول المثلين حرف لين .

وصار الأصل فى معنى « الفوضى » المتفرقين . ولما كان المتساوون الذين لا رئيس لهم يجمع شملهم ويوحد كلمتهم فى معنى المتفرقين أطلق الفوضى على هؤلاء ، ودخل الكلمة معنى التساوى من هذا الباب ، فقيل : المتاع فوضى بين القوم أى هم شركاء فيه متساوون ، ويدخل هذا فى باب التدريج اللغوى .

مكتبتنا العربية

وقد يسأل سائل . هلا أبدلوا من التضعيف ياء فقالوا : فيضى ؟ والجواب أن العرب تستحسن فى حشو الكلمة الواو وتستكثر منها . وترى الصرفيين يحكمون للألف التى هى عين الكلمة إذا جهل أصلها أنها مقلوبة عن الواو : كما قالوا فى الصاب ، يصغرونه على صويب لا صييب . وعلى أنه ورد (الفيضى) كما فى التاج .

ويبقى بعد هذا السؤال الآتى : إذا كان الفوضى جمعا فكيف جاء للمفرد على ما تقدم ؟ .

والجواب أنه من باب التوسع فى العربية . ويدخل هذا فى فروع كثيرة حتى عقد له ابن جنى فى الخصائص بابا سماه « شجاعة العربية » وذكر فيه ما هو أبعد من هذا .

ومبنى هذا استعمال وصف الجمع فى المفرد[1] . ويذكر من هذا قولهم : « ذهب به الدينار الحمر والدرهم البيض » وقول مزاحم العقيلى :

ولو بذلت أنسا لأعصم عاقل ... برأس الشرى قد طرّدته المخاوف
لظل رهينا خاشع الطرف حطه ... تخلب جدوى والكلام الطرائف

يعنى وصف (الكلام) بالطرائف .

وقد وجدت للفوضى فى هذا نظيرا فى وزنها ومعناها ، وهو (شتى) فشتى جمع شتيت . ويقول أبو حيان فى البحر المحيط ٦/٢٤٤ : « شت الأمر شتا وشتانا : تفرق . وأمر شت متفرق . وشتى : فعلى من الشت ، وألفه للتأنيث ، جمع شتيت كمريض ومرضى ، ومعناه : متفرقة » . يقول السمين فى شرحه للتلخيص عند قول الخطيب : « وله ملابسات شتى » : « أى مختلفة ، جمع شتيت كمريض ومرضى » .

وقد جاء هذا ورد (شتى) وصفا للمفرد . وفى اللسان : « وقعوا فى أمر شت وشتى » . جاء فى الآية ٥٣ من سورة طه « وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى » ويقول أبو حيان : « والأجود أن يكون (شتى) فى موضع نصب نعتا لقوله : (أزواجا) لأنها المحدث عنها » . وقال الزمخشرى : يجوز أن يكون صفة للنبات ، والنبات مصدر سمى به النابت كما سمى بالنبت . فاستوى فيه الواحد والجمع » . وما رأينا المصدر المفرد إذا سمى به الجنس أو إذا لم يسم به يطرد وصفه بوصف الجمع ، فليس من المستساغ أن يقال : النبت القويات أو الكثيرات ، ولكن هذا توسع أجرته العرب فى (شتى) .

---

(١) انظر الخصائص طبعة دار الكتب ١/٢٥ .

مكتبتنا العربية

وجاء من هذا أيضاً قوله تعالى فى الآية ٤ من سورة الليل : « إن سعيكم لشتى » . وترى أبا حيان يقول : « أى مساعيكم » وهذا ليسوغ وصف المفرد بالجمع . ولكن لو قيل إن سعيكم تحاسبون عليها أو عليهن أفكان ذلك يسوغ فى الكلام ؟ وعندى أن هذا توسع ترتكبه العرب فى بعض كلامها ، ولا يكون منهجاً مطرداً .

وجاء (شتى) وصفا للاثنين . وإنى أسوق إليك فى هذا الموطن القصة [1] الآتية :

روى أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجانى الذى قدم الأندلس من المشرق سنة ٤٠٦ أن ابن الأعرابى الإمام اللغوى الكوفى المتوفى سنة ٢٣٠ رأى فى مجلسه رجلين يتحادثان . فقال لأحدهما : من أين أنت ؟ فقال : من أسبيجاب [2] . وقال للآخر : من أين أنت ؟ فقال : من الأندلس . فتعجب ابن الأعرابى ، وأنشد :

نزلت على قيسية يمنية لها نسب فى الصالحين هجان
فقالت - وأرخت جانب الستر دوننا لأية أرض أم من الرجلان ؟
فقلت لها : أما رفيق فقومه تميم وأما أسرتى فيمان
رفيقان شتى ألف الدهر بيننا وقد يلتقى الشتى فيأتلفان

فترى قوله : « رفيقان شتى » كيف جاء (شتى) وصفا للاثنين . وعندى أن الفوضى سرت فى هذا السبيل . والله الهادى إلى سواء السبيل .

محمد على النجار

---

(١) انظر جذوة المقتبس ١٧٣ ، ومعجم الأدباء (طبعة الحلبى) ٧ / ١٤٧

(٢) اسم بلدة كبيرة من بلاد ما وراء النهر فى حدود تركستان . ووردت فى معجم البلدان : اسفيجاب

مكتبتنا العربية

طرائف لغوية وأدبية :

نظرة فى شاهد

يستشهد النحويون والبلاغيون بهذا البيت :

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره

الأولون يستشهدون به على جواز تقدم الخبر الجملة على المبتدأ حيث لا ضرر من التقديم ، فقد تقدمت جملة الخبر وهى « ما أمه من محارب » على المبتدأ وهو « أبوه » ، وجاز عود الضمير الذى فى أمه على الأب مع تأخره لفظا لانه متقدم فى الرتبة ، فالمبتدأ رتبته التقدم على الخبر . والآخرون يستشهدون به على التعقيد اللفظى بسبب التقديم والتأخير الذى لا يفهم معه المعنى إلا بعد تأمل وإعمال فكر .

والبيت من قصيدة للفرزدق يمتدح بها الوليد بن عبد الملك بن مروان ، ويستجديه لقومه وقد أصابهم قحط ، ومطلع القصيدة :

كم من مناد والشريفان (١) دونه إلى الله تشكى والوليد مفاقره

ينادى أمير المؤمنين ودونه ملا (٢) تتمطى بالمهارى ظهائره

إلى أن قال :

رأونى فنادوا أسوق مطيتى بأصوات هلاك سغاب حرائره (٣)

---

(١) الشريفان : جبلان يسمى أحدهما (شريف) بصيغة التصغير ، وهو أعلى جبل فى بلاد العرب . ويقول مجد الدين الفيروزابادى صاحب القاموس إنه صمده . وبجواره جبل آخر يسمى (شرف) بوزن قفل ، فغلب الفرزدق اسم الجبل الأول وجعل التثنية له .

(٢) الملا : الصحراء .

(٣) الهلاك : جمع هالك ، وهو الميت . واستعمل الفرزدق الهالك بمعنى الميت فى الضعيف الهزيل على سبيل الاستعارة . والقرينة قوله « بأصوات » لان الهالك ليس له صوت . والسغاب : جمع ساغب وسغبان وسغب كفرح ، ومعناه الجائع أو الجائع التعب .

مكتبتنا العربية

فقالوا أغثنا إن بلغت بدعوة لنا عند خير الناس إنك زائره
فقلت لهم إن يبلغ الله ناقتى وإياى أنبى بالذى أنا خاره

ثم يأتى بيت الشاهد بعد ذلك بأبيات ، ولكنه ليس كما رواه النحاة والبلاغيون ، وإنما يختلف عن روايتهم اختلافا يترتب عليه اختلاف معناه واختلاف الشاهد فيه ، وتأتى بعده أبيات تؤكد خطأ رواية النحويين والبلاغيين ، وإلى القارىء الشاهد وما بعده كما ورد فى ديوان الفرزدق فى النسخة المطبوعة فى أوربا وهى معجمة وواضحة :

إلى ملك ما أمه من محارب أبوها ولا كانت كليب تصاهره
ولكن أبوها من رواحة ترتقى بأيامه قيس على من تفاخره
زهير ومروان الحجاز كلاهما أبوها لها أيامه ومفاخره
بهم تخفض الأذيال بعد ارتفاعها من الفزع الساعى نهارا حرائره

وهنا يظهر عدم ائتلاف بيت الشاهد على الرواية الأولى مع الأبيات بعده من جهة اللفظ ، إذ كيف يقول الشاعر إلى ملك ، ما أمه من محارب أبوه ، ثم يقول بعد ذلك ، ولكن أبوها من رواحة ، ثم يقول كلاهما أبوها ، والمعنى يختلف أيضا على هذه الرواية عنه على الرواية السابقة . إذ معناه على الأولى أبو هذا الملك ليست أمه من قبيلة محارب وتقدير الكلام حينئذ ، إلى ملك أبوه ما أمه من محارب ، .

والمعنى على الرواية الأخيرة ، أبو أم هذا الملك ليس من قبيلة محارب ، إذ تقدير الكلام حينئذ ، إلى ملك ما أمه أبوها من محارب ، كما تقول محمد ما أبوه حاضر ويترتب على ذلك تغير الخبر ، فهو على الرواية الأولى جملة ، ما أمه من محارب ، وعلى الثانية شبه جملة وهو الجار والمجرور اللذان هما ، من محارب ، ولا يجوز تقدم المبتدأ وهو أبوها على لفظ الأم لأن المبتدأ حينئذ جزء من جملة خبرما ، إذا أعملت عمل ليس وجزء من جملة خبر المبتدأ الذى هو أمه إذا أهملت ما ، وفيه ضمير يعود على اسم ما أو على المبتدأ الأول على الاعتبارين السابقين ، فإذا تقدم (أبوها) على (أمه) لزم عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة لأن المبتدأ الثانى رتبته التأخر عن المبتدأ الأول ، وكذلك خبر ما رتبته التأخر عن اسمها وعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة لا يجوز إلا فى مسائل ليست هذه المسألة منها .

مكتبتنا العربية

أما على الرواية الأولى فقد سبق بيان جواز تقدم لفظ الاب على الأم وعدمه ، ويختلف الاستشهاد بالبيت عند النحويين ، فبعد أن كان يستشهد به على جواز تقدم الخبر الجملة على المبتدأ أصبح يستشهد به على جواز تقدم الخبر شبه الجملة على المبتدأ إذ يجوز أن يقال « ما أمه من محارب أبوها » أو « ما أمه أبوها من محارب » .

والغريب أن جميع شراح الشواهد كالعينى والجرجاوى والشيخ قطة العدوى وغيرهم رووا هذا الشاهد على الرواية الأولى وشرحوه على المعنى الأول واستشهدوا به على ما فيه من جواز تقدم الخبر الجملة على المبتدأ حيث لا ضرر ، وهذا مخالف للواقع ولما قاله الشاعر وأراده ، حتى المحدثون الذين شرحوا شواهد ابن عقيل وغيره ، نهجوا نهج القدامى ، ولم يفكر أحد من السابقين أو اللاحقين فى الرجوع إلى ديوان الفرزدق ، ولو رجعوا إليه لتبين لهم خطأ الرواية الأولى واختلاف معناها عن الواقع وعن كلام الشاعر ومراده .

والعجب من ذلك أن شارحاً حديثاً روى هذا البيت :

رأونى فنادونى أسوق مطيتى بأصوات هلاك سغاب حرائره

رواه هكذا :

رأونى فنادونى أسوق مطيتى بأصوات هلّال صعاب جرائره

ولم يشرحه مع أنه يشرح كل بيت يأتى به تبعاً لأحد أبيات الشواهد .

ولعل الذى حمله على ذلك أنه لم يستطع معرفة مرجع الضمير فى قول الشاعر « سغاب حرائره » فغيره من عند نفسه إلى ما رأيت حتى يعود الضمير فى « جرائره » على كلمة « هلال » ولو قرأ القصيدة كلها بإمعان وتدبر لظهر له مرجع الضمير واضحاً .

ولعلى بذلك بينت خطأ وقع فيه القدماء والمحدثون من العلماء لأخذهم ما يعرض لهم من الشواهد من غير أن يفتشوا فيه أو يبحثوا وراءه ، وكان الصواب قيد شعرة منهم لو تنبهوا إليه . ولكن لهم مع ذلك عذراً فى تصديق من روى لهم إذا كان ممن يوثق به ، أما أن يؤخذ النص من كتاب دون بحثه والتنقيب على ما خلفه فهذا ما لا يرضى عنه العلم ، ولا تقبله الأمانة العلمية ، وما ينبغى أن يتنزه عنه رجال الأزهر على وجه الخصوص .

طه الزينى
أستاذية فى النحو والصرف

مكتبتنا العربية

الدخيل وكتب التفسير

تفسير القرآن الكريم من العلوم الشرعية التى عنيت بها الأمة الإسلامية عناية فائقة ، إذ عليه يتوقف فهم الكتاب العزيز ، ومعرفة ما فيه من حكم وأحكام وآداب ومواعظ ، والكشف عما فيه من هداية وإرشاد ، وأسرار فى التشريع والاعجاز . وقد حث الله عز شأنه على تدبر القرآن وتفهمه فقال (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) وقال (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته) وقد كان النبى ﷺ يبين لاصحابه معانى القرآن كما يبين لهم ألفاظه ، قال تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) . وقد قال أبو عبد الرحمن السلمى حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل . قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً . وهذا هو السر فى أنهم كانوا يبقون مدة فى حفظ السورة ، وأن الرجل منهم كان يجل فى أعين أصحابه بمقدار ما يحفظ من القرآن .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وقد روى مالك فى الموطأ أن ابن عمر أقام على حفظ البقرة ثمانى سنين . وقال أنس رضى الله عنه : كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جل فى أعيننا . فالصحابة قد تلقوا تفسير القرآن وبيانه عن النبى صلوات الله وسلامه عليه وأضافوا إليه ما أدركوه بصفاء فطرتهم وذكاء قريحتهم ومعرفتهم التامة باللغة وأساليب البيان وما فهموه من الظروف والملابسات التى كانت عند نزول الوحى . والخلاف بين الصحابة فيما صح عنهم من التفسير قليل ، وأغلبه يرجع إلى اختلاف التنوع لا التضاد ، ثم تلقى التابعون عن الصحابة تفسير القرآن كما تلقوا علم السنة ، وإن كانوا يتكلمون فى بعض التفسير بالاستنباط والاستدلال كما يتكلمون فى بعض السنة بهما أيضا [1] ، وأضاف التابعون إلى ما سمعوه ما تلقوه عن أهل الكتاب من المعارف وفسروا القرآن ببعضها ، ومن هنا دخل البلاء على الإسلام كما سأبين ذلك فيما بعد . وقد كان الاختلاف بين التابعين أكثر منه بين الصحابة ، وعن التابعين أخذ تابعو التابعين ، وهكذا حتى دونت الكتب فى شتى العلوم والفنون ، ومنها كتب التفسير .

---

(١) مقدمة التفسير لابن تيمية .

مكتبتنا العربية

وقد ألفت كتب فى التفسير بالمأثور كما ألفت كتب فى التفسير بالرأى والاجتهاد، وكتب هذا النوع الثانى لا تخلو من التفسير بالمأثور أيا كان منحاها، ذلك أن التفسير بالاجتهاد لا يكون منوطا بالقبول إلا إذا اعتمد فيه على ما صح من المنقول، ولا سيما فيما لا يعلم إلا من طريق النقل كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقصص ونحوها، فهذا النوع من التفسير قل أن ينفرد عن النوع الأول كما قال ابن خلدون، والتفسير بالمأثور أسبق فى الوجود من التفسير بالرأى والاجتهاد، وهو يعتبر جزءاً من الحديث، والذين ألفوا فى الحديث لم تخل كتبهم منه. وقد عقد الإمام البخارى فى صحيحه كتابا فى التفسير، وقد استنفد ذلك جزءاً من صحيحه لا يستهان به، وكذا فعل مسلم وغيره من أصحاب الكتب المعتمدة، ولم يقتصروا فيما ذكروه على المرفوع، بل ذكروا ما ورد عن الصحابة والتابعين. وهذا الصنيع يدل على الصلة الوثيقة بين الحديث والتفسير بالمأثور.

والحق أن الحديث بالنسبة لغالب العلوم بمنزلة الأم، وعليه معول كثير من المؤلفين، فالمفسر والفقيه والمؤرخ كلهم فى حاجة إليه.

والذين ألفوا فى التفسير بالمأثور فى القديم ذكروا ما روى عن النبى ﷺ وعن الصحابة والتابعين وصبغوه بالصبغة الحديثية من ذكر للسند ونقد للرجال وتصحيح المتن أو تضعيفه، إلى أن جاء ابن جرير الطبرى فزاد توجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض وذكر الأعاريب والاستنباط، ثم ألفت من بعد كتب التفسير بالاجتهاد، ولم يسر مؤلفوها فى الغالب - فيما اشتملت عليه كتبهم من مأثور - على سنن السابقين الأولين، فحذفوا الأسانيد، واختصروا الأقوال، ولم ينسبوها لقائليها. وصار من يسنح له قول يورده، ومن يجىء بعده ينقله ظانا أن له أصلا، ولم يكلف نفسه مؤونة البحث عن أصل الرواية ولا من يرجع إليه هذا القول، فاختلط الصحيح بالسقيم والمقبول بالمردود [1].

ولما كان الحديث قد دخله الوضع فلا جرم أن دخل التفسير بالمأثور الوضع أيضا، ومن ثم اشتملت كتب التفسير - سواء منها ما كان مختصا بالمأثور أو شاملا له وللتفسير بالاجتهاد - على قطعة كبيرة من الموضوعات والإسرائيليات والآراء الزائفة التى لا تستند إلى نقل صحيح ولا يؤيدها عقل سليم. وكان لذلك أسباب عدة نجتزىء بذكر بعضها:

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى جـ ٢ صـ ١٩٠.

مكتبتنا العربية

فمن طريق الزنادقة دخل الكثير من الموضوع ونسبوه إلى النبي ﷺ حينا ، وإلى الصحابة والتابعين حيناً آخر . وكذلك كان للعصبية المذهبية ضلع كبير فى التزيد : فالشيعة نسبوا إلى سيدنا على ما هو براء منه ، والمتزلفون لبنى العباس نسبوا إلى ابن عباس ما لم يقله تقربا إليهم ، وهـذا هو السر فى تضخم التفسير المنسوب إليهما دون غيرهما من الصحابة الذين تصدوا للعلم والرواية . وهناك سبب آخر مهم وهو النقل عن مسلمة أهل الكتاب ، والأخذ عنهم فيما لا تعلق له بأصول الدين واحكام الشريعة ، كالقصص وأخبار الأمم الماضية ، وإلى ذلك أشار العلامة ابن خلدون فى مقدمته فى أثناء تكلمه على التفسير بالمأثور فقال « وقد جمع المتقدمون فى ذلك وأوعوا ، إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود . والسبب فى ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية ، وإذا تشوقوا إلى معرفة شىء مما تتشوق إليه النفوس البشرية فى أسباب الكائنات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى . وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة ، ومعظمهم من حمير الذين أخـــذوا بدين اليهودية ، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التى يحتاطون لها ، مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم ، وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم ، وفى أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى فيها الصحة التى يجب العمل بها . ويتساهل المفسرون فى مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات [1] » .

وقد أخذ عن مسلمة أهل الكتاب فى هـذه الأغراض السابقة الكثير من التابعين وبعض أجلة الصحابة كابن عباس وابن مسعود وأبى هريرة .

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص قد أصاب زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث بها فيهما بما فهمه من الإذن فى حديث « بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج . ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » رواه البخارى .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٣٦٨ .

مكتبتنا العربية

ثم إن هذه الإباحة فيما لم يعلم كذبه ، أما ما علم كذبه فيحرم التحديث به ، ولا تجوز روايته إلا مشفوعا ببيان كذبه . وعلى هذا يحمل ما ورد من النهى عن التحديث عنهم . وذلك أن أخبار بنى إسرائيل على أقسام ثلاثة :

١ — ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق ، فذاك صحيح ، ونحن فى غنية عنه بما عندنا ، ولا مانع من التحديث به .

٢ — ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه ، فهذا يجب تكذيبه .

٣ — ما هو مسكوت عنه ، لا من هذا ولا من ذاك ، فلا نؤمن به ولا نكذبه . وغالب ذلك مما لا فائدة فيه ، وكثيراً ما يختلف علماء أهل الكتاب فيه ، ويأتى عن المفسرين خلاف بسبب ذلك ، كاختلافهم فى لون كلب أصحاب الكهف ، واسم الغلام الذى قتله الخضر [1] ومقدار سفينة نوح ونحو ذلك .

ولو أن هذه الإسرائيليات ولا سيما المكذوب منها وقف بها عند قائليها لكان الأمر محتملا ولكن الشناعة وكبر الإثم أن ترفع بعض هذه الإسرائيليات إلى المعصوم صلوات الله وسلامه عليه ، وهنا يكون الضرر الفاحش . فقد وجد أعداء الدين فى ذلك ثغرة ينفذون منها إلى التقول على الإسلام وعلى نبى الإسلام بما هو برىء منه ، وبعض هذه الإسرائيليات جاء موقوفا على الصحابة فظن من لا علم له بحقيقة الأمر أنها متلقاة عن النبى ﷺ لأنها مما لا مجال للرأى فيها فلها حكم المرفوع .

ن جهابذة الحديث ونقاده كانوا أبعد غوراً وأدق نظراً حينما قالوا : إن كلام الـ مما لا مجال للرأى فيه له حكم المرفوع بشرط أن لا يكون الصحابى معروفا بالأخذ الـكتاب ، ولا ممن يعرف بذكر الإسرائيليات وبذلك يجد الباحث المنصف مخرجاً لروايات الموقوفة بأنها إسرائيليات تقبلت بحسن نية ، إن لم تكن مدسوسة على دسها عليهم الزنادقة .

وقد تنبه بعض الصحابة إلى ما الـكتاب من المغالط والـكذب وإن لم يكن عن تعمد : روى البخارى فى صحيحه نى الله عنه أنه ذكر كعب الأحبار فقال ، إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين من أهل الـكتاب ، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الـكذب ، وإذا كانت مقا فى كعب كما ترى وهو من أصدقهم —

(١) انظر تفسير ابن كثير جزء أ ومقدمة التفسير لابن تيمية ص ١٨ ط السلفية .

مكتبتنا العربية

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مكتبتنا العربية

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مكتبتنا العربية

الحسابية ، والنتائج السنوية المضبوطة ، وتقدير الزمن بالمزاول والأرباع الدستورية وغيرها ، وبالساعات الميكانيكية المنظمة جيبية أو حائطية ، من أول نشأة الحساب إلى الآن . وإن تمسكه بما لم تلتفت إليه الأمة وانقياده لمعنى هذه الدعوى مع خلوها عن الدليل يعد شذوذاً منه وخروجا على الاجماع ...

على أن سائر علماء الشافعية وغيرهم من المحققين والحراص فى كل بلد وأوان تراهم يسرعون إلى الصلاة على حساب الساعات الفلكية وتقدير الجداول السنوية ، ولم نسمع أن اثنين منهم قد اتفقا على ترك ذلك إلى قياس الظل فى أى عهد من العهود المتقدمة ...

ثم ، ثانيا ، ننقض عموم الحكم فى هذه الدعوى ، إذ يعم البلاد التى ينعدم فيها علامة وقت العشاء أو غيرها فى بعض أيام السنة ومقتضاه أنه لا يعتمد فيها على الحساب ، كيف وأن إجماع السادة الشافعية ومنهم ، ابن دقيق العيد ، على وجوب الصلوات الخمس فى تلك البلاد وتقدير أوقاتها بالساعات الفلكية بحسب أقرب البلاد أو الايام المعتدلة مع أنه لا غروب ولا شروق للشمس ولا للشفق ولا بلوغ لظل شىء مثله أو مثليه فى هذه الاوقات هنالك فى بعض أيام السنة ولا بد لهذا التقدير من الحساب ...

ووافقهم على ذلك علماء السادة المالكية وكذا المحققون من الحنفية كالكمال بن الهمام وغيره ، وحجتهم على ذلك قوية كما سيأتى :

البلاد التى ينعدم فيها بعض علامات الأوقات :

أما البلاد التى ينعـــدم فيها فى بعض أيام السنة علامات الأوقات الشرعية ، فمنها ما عرضه (٤٩) درجة فأكثر إلى (٦٦) درجة كبلاد الإنجليز ، والبلجيك وهولاندة ، وبولاندة وشمال فرنسا وألمانيا وجنوب فنلندة وجنوب السويد والنرويج وجنوب كندا وأواسط روسيا ، فإن فى هـذه البلاد ينعدم فى بعض أيام السنة أعنى حول (٢١) يونية علامة وقت العشاء فيدور الشفق من نقطة غروب الشمس إلى نقطة شروقها حول آفاقها من جهة الشمال دون أن يختفى فى الأفق ثم يصعد فى السماء حتى تطلع الشمس ، ومعناه بقاء علامة المغرب إلى أن توجد علامة وقت الصبح وتنعدم علامة وقت العشاء أصلا وهى غياب الشفق فى الأفق الغربى .. انظر الرسم رقم (١) .

مكتبتنا العربية

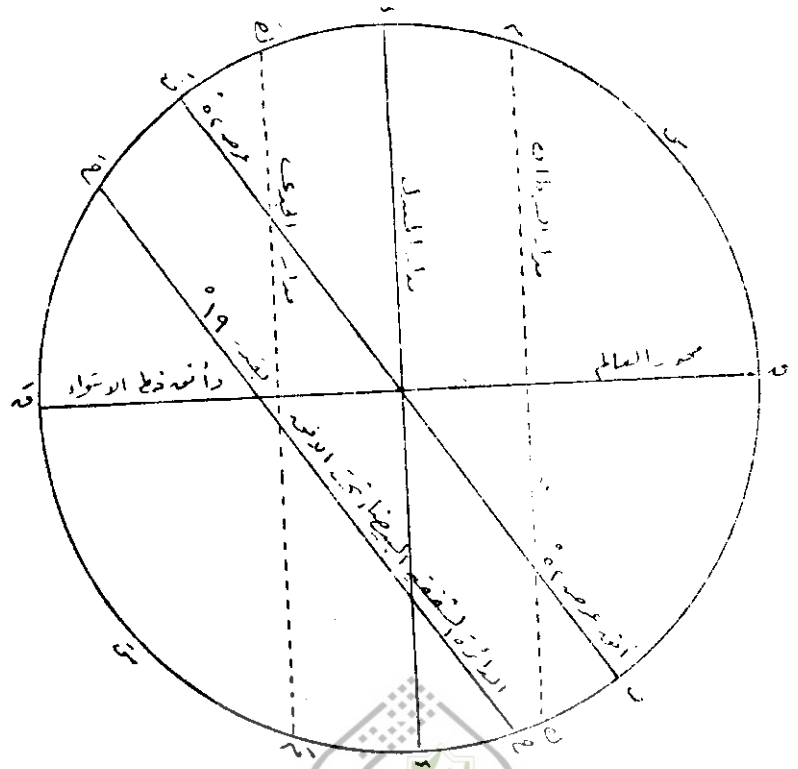

شكل (١)

وأما البلاد القطبية وهى التى يزيد عرضها عن (٦٦) درجة كبلاد سيبريا وجزيرتى إيسلندة وجرينلندة وشمال كندا وروسيا والسويد والنرويج ؛ فإن للشمس فيها ثلاث حالات كلها مواعظ وعبر (ربنا ما خلقت هذا باطلا) .

فى الحالة الأولى تدور الشمس فى السماء فوق الأفق جملة أيام قبل وبعد (٢١ يونيه) دون أن تتوارى فى الأفق ، وحينئذ تنعدم علامات وقات المغرب والعشاء والفجر لدوام النهار وانعدام الليل ، إذ لا غروب ولا شروق للشمس ولا للشفق ، وكذا تنعدم علامة العصر لصيرورة الظل فى اللانهاية ، وإنما يعرف الظهر بزوال الشمس عن وسط السماء (خط نصف السماء أى منصفها من الشمال إلى الجنوب) لأن مدار الشمس اليومى وإن ارتسم كله فوق الأفق إلا أنه يمر بهذا الوسط مرتين إحداهما تمثل الاستواء وهى الجنوبية وزوال الشمس عنها يمثل علامة وقت الظهر ، والأخرى وهى الشمالية تمثل انتصاف الليل ، كما يمكن أن يعتبر شروق الشمس بعد مرورها بالنقطة الشرقية من المدار بنحو درجة وكذا الغروب بعد مرورها بنقطة المدار الغربية وهكذا . ومن هنا يسهل حساب الأوقات فلكياً قياسا على أوقات البلاد التى فيها شروق وغروب .

مكتبتنا العربية

وفى الحالة الثانية — تتوارى الشمس فى الأفق بعد (٢١ سبتمبر) وتدور تحته ، وما دامت على بعد من الأفق أقل من (١٧ درجة) أو (١٩) يتبعها الشفق فى هذا الدوران ويبقى ظاهراً دائرا حول الأفق مدة جملة أيام معتدلة كما لو كان فى حصة المغرب ، ومعناه انعدام جميع علامات الأوقات لهذه الأيام .

وفى الحالة الثالثة — يختفى الشفق أيضاً ويحبك الليل ظلمته على الأفق ويدوم أيضاً ذلك مقدار جملة أيام معتدلة ثم يظهر الشفق عائداً إلى حالته السالفة جملة أيام ، ثم تظهر الشمس كذلك وهكذا ، وفى هاتين الحالتين يمكن أن يحكم بأن جميع العلامات للأوقات الشرعية منعدمة . . . انظر الرسم رقم (٢)

وأى شىء يمكن أن يعتمد عليه فى تقدير الأوقات الخمس حينئذ غير الحساب الفلكى مع مساعدة الساعات الميكانيكية التى يمكن ضبطها أيضاً بحركة النجوم ومطالعها . . .

ولا شك أن حديث الدجال وإن كان مسوقا لبيان حكم الصلاة فى أيامه ولكن يعلم منه أن مدار العبادات على الدورات اليومية والشهرية والسنوية وبيان حكم الصلاة فى أيام الدجال بيان لحكمها فيما يماثل أيامه .

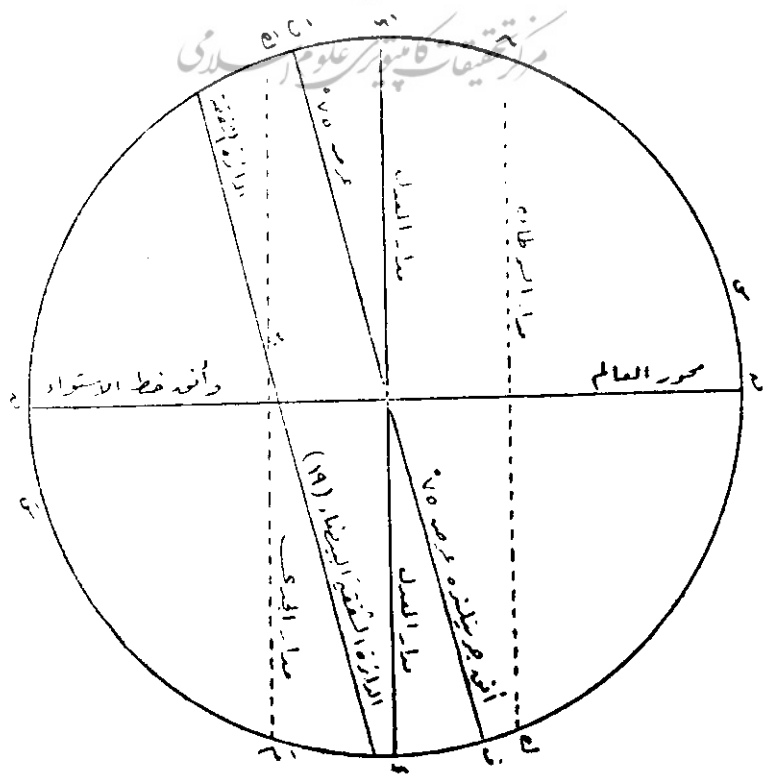

شكل نمرة (٢)

مكتبتنا العربية

فالشارع وإن علق وجوب الصلوات بأوقات يغلب وجود علاماتها الحسية كما فى غالب الجزء المعمور من الأرض . لكنه لم يهمل حكم غير الغالب ، فقد أخرج مسلم فى صحيحه من رواية ابن يونس بن سمعان من حديث الدجال وفيه ، قلنا يا رسول الله : فذلك اليوم الذى كسنة ؛ أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا ، اقدروا له ، وكذلك عدة أحاديث غيره فى هذا المعنى .

ولا يلزم أن يكون كل الناس عارفين بهذه العلامات التى تدل على الأوقات ، بل من لم يعرف يعرف ممن يعرف (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) كما لا يلزم امتناع التعريف بغير الغالب كالآلات الدقيقة والحساب الصحيح والساعات المضبوطة والأوراد والحرف والصناعات إلى غير ذلك ...

وبالجملة فإذا قبل العلماء المحققون التقدير بالأوراد والصناعات ، أفلا يقبل التقدير بالساعات المحررة وجداول الحساب المضبوطة ، وقد أجمعت الأمم كلها على ضبط مواعيدهم فى أعمالهم وصناعاتهم وزراعاتهم وتجاراتهم وبرقياتهم وسفرهم وبريدهم إلى غير ذلك بالساعات والحساب . وعلماؤنا أول الواضعين لها كما يعلم من تواريخ الحساب الفلكى والساعات ، أقصد الحساب المبنى على براهين هندسية وقوانين جبرية وحساب مثلثات مستوية وكروية ، ومن الكتب المتداولة فى الأيدى كتاب « طيب النفس » لادريس باشا راغب وكتاب « رياض المختار » لمختار باشا الغازى وكتاب « الدرر البهية » لاسماعيل باشا الفلكى وكتاب « الفلك العملى » لحسن مصطفى بك العبادى وغيرهم من أرباب الكتب الحديثة فى الفلك .

أما الكتب المعتمدة القديمة فكتاب « الدر المنثور » للشيخ عبد الله الماردينى وكتاب « حاوى المختصرات » لسبطه محمد بن الماردينى وكتاب « جامع المبادى والغايات » لأبى الحسن المراكشى وكتاب « النفع العام » لابن الشاط . فإن كل ما حوته هذه الكتب من القواعد الفلكية مطرد الإنتاج لكل ما لو تأمله الحس لأدركه من العلامات للأوقات الشرعية دون خطأ أو مخالفة لابتنائها على براهين وقوانين معقولة .

وفقنا الله جميعاً لخدمة العلم والدين ؟

محمد أبو العطا البنا
مدرس الفلك بالأزهر

مكتبتنا العربية

كنوز بلاد سدوم

خطرها على الشرق

[إن فى ذلك لآيات للمتوسمين]
« سورة الحجر »

ورد فى سورة الحجر عن بلاد قوم لوط : « فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ، إن فى ذلك لآيات للمتوسمين » . والتوسم هو التأمل والتفرس والاعتبار ، هكذا إجماع التفاسير . ولم تذكر هذه الكلمة فى القرآن الكريم جميعه إلا فى هذا المقام وظلت هذه المنطقة لا يعرف الناس عنها إلا الشىء القليل ، إلى أن ظهرت الآلات الحديثة ، فاكتشفت ما فيها ، فأظهرت إعجاز القرآن فى هذه الآية . وإليك ما قرره علماء الجيولوجيا وطبقات الأرض .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تبين أن بحيرة لوط تنخفض عن سطح البحر (٤٠٠ متر) ، وأن هذا العمق نتج عنه ارتفاع درجة الحرارة فى البحيرة حتى أصبحت تبلغ مثل درجة حرارة خط الاستواء ، وقدروا ما يتبخر من مياهها يومياً بستة ملايين طن . ومع أن المياه المتبخرة يعوض معظمها من مياه الشمال التى تنصب فى البحيرة فإنه لكثرة التبخر يتناقص ماء البحيرة على مر الأحقاب وقد اشتدت ملوحة مائها وكثف بالنسبة إلى باقى البحار ، وبهذا فقدت الحياة من البحيرة فلا يوجد فيها أسماك ولا يغرق السابح فيها ، ولهذا أطلق عليها اسم « البحر الميت » . وقد قرر العلم أيضاً أن البحر الميت والأغوار المجاورة له إنما حدثت نتيجة لاضطرابات أرضية (أى خسف) قبل ألوف السنين . ولم يقف العلم عند هذا الحد ، بل حلل المياه فوجد فيها مواد كيماوية كثيرة منها البوتاس والصودا الكاوية والصودا العادية (الفلوريد) والمغنسيوم والاورانيوم الذى تصنع منه القنبلة الذرية .

لهذه الثروات وغيرها من الأسباب تآمر اليهود والإنكليز ، لأن يكون لهم يد

مكتبتنا العربية

الجنرال اللنبي يفتح القدس سنة ١٩١٧م حتى استقدم تلوك المهندس والخبير البريطاني الكبير فكتب تقريراً ضافياً عن كنوز البحر الميت رفعه اللنبي إلى الوزارة البريطانية ، وقد جاء فيه : أن المواد الكيماوية فيه تقدر بـ ١٣٠٠ مليون طن ، وتقدر قيمتها بـ ٢٤٠ ألف مليون جنيه . وأن قوة انحدار النهر تقدر بمليون حصان .

بهذه المطامع يقنع اليهود الأميركان والانكليز بضرورة الاستيلاء على المملكة الأردنية ولم يكد يعلن الانتداب على فلسطين حتى أخذت شركة يهودية امتيازاً لاستخراج المواد الكيماوية من هذا البحر باسم شركة البوتاس ، وقد حصلوا على امتياز آخر للاستفادة من قوة انحدار النهر سموه « مشروع روتنبرغ » وهذا المشروع أصبح ينير ويدير المدن والمستعمرات والمعامل في أكثر بقاع فلسطين . أما العرب فلم يستفيدوا من ذلك حتى الآن إلا ملح الطعام . يضاف إلى هذا خيرات الأغوار فإن خصوبة أراضيها مضرب المثل ، والسرعة نضوج مزروعات الغور أطلق عليه اسم « طباخ » . وفيه تزرع وتنمو مزروعات وأشجار المناطق الحارة كالنخيل والموز والقطن والفول السوداني والأرز وقصب السكر وغيره مما يزرع الآن وما جرب قبلا ، وهو يزرع ثلاث مرات في السنة إذا توفرت له المياه .

هذه الكنوز الكيماوية والمنافع الموجودة في وادي الأردن والبحر الميت هي التي يود اليهود تحويل الأردن لأجلها ليسهل عليهم تجفيف البحر الميت . أما الأراضي فيستفاد من الجداول والروافد لإروائها .

إن هذا العدوان الوحشي الذي يقوم به اليهود ويغطي عليه أنصارهم وأعوانهم ومؤيدوهم هو لأجل إيقاع الرعب والفزع في قلوب سكان هذه الديار - وقد ضربوهم بالإفلاس - ليهاجروا ويتركوا البلاد خرابا يبابا كي يحتلها اليهود باسم المحافظة على الأمن والعمران .

هذه حقائق لا ريب فيها وإن الأمر ليس أمر حدود . ولقد كنا قبل الحرب ننذر بالخطر على فلسطين . وها نحن الآن ننذر بالخطر على المملكة الأردنية .

هل آن لنا أن نستيقظ ؟ نابلس إحسان النمر

تصحيح

وقع في الجزء الماضي ص ٣٦٧ س ١٠ خطأ صوابه (إلى الله والرسول)

مكتبتنا العربية

الكتب

نظام السلم والحرب فى الاسلام

للأستاذ السيد مصطفى السباعى ٥ ٤٨ صفحة جيب ٥ مطابع الكشاف فى بيروت

الأستاذ السيد مصطفى السباعى من نوابغ خريجى الأزهر ، ومن حملة الدكتوراه فى التشريع الإسلامى ، وقد أهلته مواهبه لقيادة الرأى العام الإسلامى فى الديار الشامية ، وله جهاد بالسلاح فى فلسطين كجهاده بالبيان لتوضيح رسالات الله كما جاء بها الإسلام . وهذا الكتيب اللطيف بداية سلسلة وعد بإصدارها تحت عنوان « هذا هو الإسلام » تبحث عن الفكرة الإسلامية الحديثة من مختلف النواحى . وقد تكلم فى هذه الرسالة الأولى من تلك السلسلة عن موقف المسيحية من السلم والحرب . وموقف الإسلام ، ومبادىء السلام فى الإسلام ، ونظام السلم الداخلى ، ونظام السلم الخارجى ، وواقع الحروب الإسلامية فى التاريخ . وكل ما يكتبه الأستاذ السباعى جدير بشباب الإسلام فى كل مكان أن يستفيدوا منه .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أسس الحكم فى الاسلام

للأستاذ محمد عبد الله السمان ٥ ٨٠ صفحة جيب ٥ مطابع دار الكتاب العربى .

هذه الرسالة هى الحلقة الرابعة من سلسلة رسائل الفكرة الإسلامية للأستاذ السمان ، بدأها بعد المقدمة بتمهيد عن الحكم فى الإسلام ، وعن الحكم والاستقرار . ثم انتقل إلى موضوع « الاعتراف بالإسلام » فتحدث عن الذين يرتجفون من الدعوة إليه وعن الدستور الإسلامى والقانون الإسلامى والنظام الإسلامى ومرونة التشريع وختمه بالإشارة إلى خطوة إيجابية . ثم انتقل إلى موضوع « الاعتراف بالشعب » فتكلم فيه عن البيعة ، وعن براءة الإسلام من الحكم الوراثى ، وعن موقف أهل الحل والعقد من الإمام إذا جار وظهر غشه . وخلط المؤلف بعد ذلك بين نظام الإسلام والأنظمة الأجنبية عنه مع أن الإسلام لا يحكم العامة بالخاصة ولا يعرف الشورى إلا فى أهل الحل والعقد . وبعد أن ضرب الأمثلة انتقل إلى موضوع « الحكومة المستقيمة » فتكلم على استقامة الحاكم وبشريته وعفته وعن تحقيق العدالة والمسئولية الشاملة وعن الشعوب المغلوبة . ووعد بأن تكون الرسالة القادمة عن الدعوة الإسلامية

مكتبتنا العربية

الأدب والعلوم في شهر

خزائن الكتب العراقية

يقول الأستاذ فؤاد جميل في (إذاعة باكستان) إن في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ١٠٫٢٠٠ كتاب منها أكثر من ثلاثة آلاف مخطوط . وهذه المكتبة جمعت من مكتبات مساجد بغداد قبل نحو ربع قرن ، ويقومون الآن بتنظيم فهرس لها على غرار فهرس دار الكتب المصرية . ومن مخطوطاتها كتاب « تأويل مختلف الحديث » لابن قتيبة كتب في مدينة واسط سنة ٤٧٢ .

وفي مكتبة المتحف العراقي خزانة كتب مهمة لكل ما يتعلق بالعراق والبلاد العربية والشرقية ولا سيما في تاريخها القديم مما تسهل معه المقارنة بين الحضارات القديمة في مختلف الأماكن كالهند والصين واليونان والرومان فضلا عن الأمم التي سكنت العراق . وفي هذه المكتبة نسخة من كتاب العين للخليل ابن أحمد بخط السماوي منقولة عن نسخة قديمة يقال إنها في الكاظمية . وفيها بعض أجزاء من وفيات الأعيان قيل إنه بخط القاضي ابن خلكان .

أما مدينة الموصل فإن ما فيها من خزائن الكتب قد وصفها الدكتور داود الجلبي في كتابه المشهور (مخطوطات الموصل)

ولوزارة المعارف العراقية مكتبات عامة في مقاطعات العراق الأربع عشرة وفي مناطق أخرى ثانوية . ومبلغ مجموع ما فيها من الكتب مضافا إلى مكتبة مديرية الآثار حسب آخر تقرير لوزارة المعارف ١١١٫٠٩٧ كتابا

جامعة القاهرة

أعدت إدارة جامعة القاهرة إحصاء عن هيئة التدريس في الكليات والمعاهد المختلفة ، وعدد الطلبة والطالبات في الجامعة ، وبعض البيانات الخاصة بهم . وفيما يلي أهم ما يتضمنه الإحصاء :

يوجد في الكليات والمعاهد التابعة للجامعة ١٦١ أستاذا و ٢٣٠ أستاذا مساعدا و ٣٠٣ مدرسين و ١٠٠ مدرس مساعد و ٣٦٦ معيدا و ٧ أساتذة غير متفرغين و ٧ أساتذة زائرين و ٤٨ مدرسا خارجين عن هيئة التدريس ، وبذا تكون هيئة التدريس مكونة من ١٢٢٢ من الأساتذة والمدرسين .

مكتبتنا العربية

وتضم الكليات والمعاهد هذا العام ٢٠٥٢٠ طالبا و ١٨٩٩ طالبة ، ومن بين هذا العدد ٣٥٧ طالبا سودانيا ، و ٩٦٣ طالبا من مختلف الدول العربية الشقيقة ، علاوة على ٨٥ طالبا من الطلبة المغاربة ، و٦٦ طالبا من الأقطار الشرقية ، و ١٨ طالبا من جنسيات مختلفة .

مخطوطات أثرية بالقدس

انتهت بعثة اللجنة الثقافية للجامعة العربية من البحث عن المخطوطات العربية ذات القيمة التاريخية وتصويرها بعد أن قضت فى بلاد الأردن نحو أسبوعين لإنجازها .

وقد صرح أحد أعضائها بأن البعثة عثرت فى القدس على مخطوطات ذات أهمية أثرية وتاريخية لا مثيل لها فى العالم ، وستزور دمشق وبيروت للغاية ذاتها .

لا يعرفون العربية

لاحظ أعضاء لجان حصر ممتلكات أفراد أسرة محمد على أن معظم هؤلاء الأفراد لا يعرفون اللغة العربية ولا يتكلمون بها فى قصورهم مع أنهم مضى عليهم مائة وخمسون سنة وهم يتناسلون فى مصر . وهم يتكلمون - مع التركية - الفرنسية والألمانية والإيطالية

وسأل أحد أعضاء اللجان سيدة من أفراد هذه الأسرة : ألا تعرفين اللغة العربية (ليكلمها بلغة البلاد) فردت قائلة : لا أعرفها.

واضطرت هذه اللجان إلى كتابة كثير من إقرارات التسليم والتسلم باللغات التركية والألمانية والفرنسية ليستطيع سكان القصور والمساكن الذين لا يعرفون العربية قراءة هذه الإقرارات والتوقيع عليها .

هوة سحيقة

أعلن الدكتور محمد طلعت عميد كلية الطب بجامعة الإسكندرية فى حديث له أن هوة سحيقة قد نشأت بين البعض من الأطباء وبين مثلهم العليا ، وهم يتسابقون إلى المادة فى عالم مضطرب . ثم أورد من تفاصيل ذلك أن الإخصائى الاستشارى يفحص أى مريض يستطيع دفع الأجر ، وهو يتقاضاه أجراً مضاعفاً إذا تقدم إليه دون واسطة الطبيب المعالج . وأخصائيو المستشفيات العامة والتعليمية يعملون على اجتذاب المرضى إلى عياداتهم الخاصة ، وهم فى ذلك يلتحفون أو يتطوعون للعمل فى أكبر عدد من المستشفيات فيحرمون زملاءهم من العمل ، وربما اضطرت حاجة هؤلاء إلى النزول للمستوى الاجتماعى للمهنة . وقد أدى هذا التكالب بأحد الجراحين الإخصائيين إلى أن يعلن عن استعداده أن يدفع عوناً مالياً لمستشفى يتطوع فيه . وفى إحدى العيادات الخارجية التى أعرفها شخصياً اعتادت الممرضة أن تنصح من يدل لباسه على شىء من اليسر بأن الأوفق

مكتبتنا العربية

لمصلحته استشارة الطبيب فى عيادته الخاصة وفى كثير من الأحيان تكون كلمة السر لحصول المستشفى زيارة سابقة بأجر معلوم للطبيب فى العيادة الخصوصية . . . الخ .

خطر الارتجال

فى الخطاب العظيم الذى ألقاه الرئيس محمد نجيب فى هيئة التحرير بأسيوط قال :

« إننى أحذركم من الوقوع فى براثن مرض فتك بأعمالنا فى الماضى وهو الارتجال ، فكم من مشروع قضى عليه فى المهد لأنه لم يدرس ولم يعرف القائمون به الصعاب التى تعترضه والثغرات التى تعيبه ، فضاع وضاعت معه الجهود التى بذلت فيه والأموال التى جمعت له . فاتعظوا بهذا الماضى ، وادرسوا مشاكل المجتمع الذى تعيشون فيه ، واجمعوا الإحصائيات ، وقيسوا جهودكم على الأعمال المطلوبة منكم فإذا فرغتم من الدرس والبحث فنفذوا مشروعاتكم معتمدين على الله وعلى ثقة مواطنيكم بكم » .

على الطبقة المتعلمة

[illegible] المكلفين بعمال عبد الناصر نائب [illegible] من الفلاحين خطابا فى مبدأ التصيع قال فيها :

« إن الطبقة المتعلمة طالما تركت العهود الماضية تعمل حسابها فى المواطنين وكانت الحكومات ترى أن الطبقة المتعلمة ذات ألسنة طوال تستطيع أن تمتد إلى الحكومة لتقول لها مثلا : إنك لا تسيرين فى الطريق المستقيم . . فتبادر الحكومة بصرف العلاوات ، وبدل التفرغ ، وبدل التخصص ... وكانت هذه العلاوات كلها رشوة . وإنى لأربأ بالمتعلمين فى هذا العهد أن يتهبلوا على أنفسهم هذا الوضع . إننا لن نحابى طبقة على حساب طبقة ، ولكننا سنمضى بالوطن - كمجموعة - نحو الحياة القوية . أرجو أن نعرف هذا ونفهمه ، فإن الوطن لا يكون قوياً بوفرة الحياة لنصف مليون متعلم ... إننا نريد أن يأكل ويلبس ويعالج ويسكن كل المواطنين . وأنتم تعلمون أن العهود الماضية تركت لنا مواطنين لا يجدون ما يأكلون ، ولا ما يلبسون ، ولا مأوى يأوون إليه » .

محكمة المياه العربية

ما زالت قائمة فى أسبانيا

كان مما لفت نظر مندوبى غرفة الاسكندرية التجارية فى أثناء زيارتهما الأخيرة لإسبانيا ، « محكمة المياه » التى ما زالت قائمة فى إسبانيا منذ العهد العربى . وهى تقوم بحسم كل خلاف بين الزراع فى منطقة بلنسية على رى أراضيهم فتنصف المغبون وتوقع العقوبة المناسبة على من يجور على حقوق غيره ولو كان من قضاتها

وهذه المحكمة المؤلفة من الأهالى تتمثل فيها العدالة العربية فى بساطة إجراءاتها وشعبية نظامها ودقة أحكامها التى لا تتقيد بأى قانون وضعى بل تستند إلى التقاليد المرعية والعرف الذى توارثه قضاتها عن العرب . وهى تتمتع باحترام عميق فى نفوس الإسبان شعبا وحكومة لا يقل عن احترامهم لأكبر هيئة قضائية فى بلادهم .

مكتبتنا العربية

العالم الإسلامي في شهر

قوة العرب أجمعين

خطب الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد القومي في المؤتمر السياسي بمدينة الإسكندرية فقال: لقد وكل إلى هذه الأمة المصرية أمر قيادة شعوب العرب في أهم منطقة من العالم. ولكن بكل أسف لم تقم مصر في الماضي بما يجب أن يبذل في هذا المضمار حتى تتمكن من السير - بقوة العرب أجمعين - إلى مجد العرب أجمعين، مجد العرب وعزتهم أجمعين

يجب أن نفهم أن وطننا ليس مقتصراً على مصر فقط، إن هناك ملايين عديدة تقف إلى جوارنا وتنتظر منا أن نقودها إلى مجدها السابق. إننا لن ننجح في هذه الناحية إلا إذا تبصرنا جيداً هذه الأمور واضعين نصب أعيننا أن الوطن هو منطقة العروبة جمعاء.

لقد سمعتم من أخي جمال منذ شهر مضى أنه اقترح عقد اجتماع لقادة العرب كل شهرين أو ثلاثة، وليكن هذا الاجتماع في مكة المكرمة، نناقش فيه أمور دنيانا وننسق أعمالنا ونوحد خطتنا وأغراضنا وأهدافنا. وإني مطالب وأوجه هذه الكلمة لكم لتجد صداقتنا في نفوس العرب في كل مكان. إني مطالب - كمسئول في هذه الأمة - أن أدير اجتماعات شعبية تمثل العرب في كل مكان. وليكن هذا الاجتماع في القاهرة في أقرب وقت ممكن، يحضره ممثلو الشعوب لا الحكومات، يتدارسون ويتباحثون ويتناجون ويدرسون الخطط التي توصل إلى تحطيم الظلم والإرهاب والاستعمار. بهذه القوة البشرية الهائلة، وهذه الموارد الهائلة التي بين أيدينا، وهذه المنطقة الحيوية، وبسواعدنا وتماسكنا، وبتوحيد خططنا، نستطيع أن نستغني عن العالم أجمع، وأن نذيقه إلى الأبد فكرة العون من الغرب أو من الشرق.

موقف مصر من الاستعمار

ألقى الرئيس اللواء أركان الحرب محمد نجيب خطابا في مدينة أسيوط قبل عودته إلى القاهرة تحدث فيه عن أهداف هيئة التحرير، وعن زعامة الشباب، كما تحدث عن فكرة الحرس الوطني والإنجليز والخدمة العسكرية. وفي

مكتبتنا العربية

ختام خطابه وجه لدول الغرب إنذاراً حاسما قويا ، وكان مما قاله :

إن الاستعمار أفقرنا ، وأجاعنا ، وفرض علينا المرض . . فالقتال من أجل الحرية سيجمعنا فى ظل الشدة ، وسيجعل كلا منا رفيقا وزميلا لأخيه المصرى من غير أن يسأل ابن من هو .

ولتعلم دول الغرب هذه الحقائق ولتفكر فيها جيداً ، لأن النار التى يودون إشعالها فى الشرق العربى ستحرقهم قبل أن تحرقنا . بل ستحرقهم دون أن تحرقنا ، وسنبقى أقوياء ظافرين ، لأننا على حق وهم معتدون .

إما صداقة أساسها حريتنا الكاملة ، وإما عداوة سنقف إلى جوارنا فى حربها شعوب العرب .

إنى أقرر بإيمان أن الحرس الوطنى سيكشف عن مواهب أبناء الشعب الكامنة فيه ، وأنه حينما تدق ساعة الجهاد سيبهرون العالم .

مساعدات هذه الدول

قال وزير الإرشاد القومى الصاغ صلاح سالم : « إننا إذا كنا سنظل نأمل فى مساعدة هذه الدول فلن نصل إلى شىء ولتعلموا أنه لا توجد أية دولة مستعدة لمجاملتنا . فكل دولة تنظر إلى مصلحتها وإلى مصلحتها فقط . ولن نحصل على شىء إلا إذا انتزعناه بسواعدنا . وفى اليوم الذى نستطيع فيه انتزاع حريتنا نصبح أمة قوية ، ولن تقف يومئذ أمامنا أمريكا ولا بريطانيا ولا أية دولة أخرى »

الكهرباء بالمدينة

وضع الملك سعود بن عبد العزيز أثناء زيارته للمدينة المنورة الحجر الأساسى لمحطة توليد الكهرباء .

الاتحاد الاسلامى

وجه مندوب جريدة (القاهرة) إلى حاكم الباكستان السؤال التالى :

ما رأيكم فى قيام اتحاد إسلامى بين الدول الإسلامية على نمط الكومنولث ؟

فأجابه : أرى أن التكتل بين الدول يزيد من قوتها ، وكلما اتجهت الدول الإسلامية نحو التكتل زادت قوتها وقوى نفوذها ، ولا شك أن الدول الإسلامية لو توحدت فى نظام يجمعها لأصبحت قوتها الدولية لا تقل عن قوة كل من الكتلتين الشرقية والغربية ولست وحدى الذى يحبذ هذا المشروع ، بل إن سلفى السيد محمد على جنه ـ الحاكم العام السابق لباكستان ـ طالما نادى بهذا الرأى وإن بعث هذه الفكرة ليس سابقاً لأوانه .

مكتبتنا العربية

الى الاتحاد الاسلامى

صرح الرئيس اللواء محمد نجيب بأن وحدة وادى النيل مقدمة لتأليف اتحاد إسلامى واسع النطاق . فقد قال فى الخطاب الذى ألقاه فى جامعة القاهرة : « لو بحثتم عن السر فى تمسك بريطانيا بالتفريق بين شطرى الوادى لعرفتم أن وراء إتمام وحدة وادى النيل هدفا أعظم ، هو أن يصبح وادى النيل المتحد العمود الفقرى لاتحاد إسلامى عظيم يمتد من شمال إفريقيا إلى الملايو شرقا ، ومن شمال البحر الأبيض المتوسط حتى جنوب إفريقيا .

المؤتمر الاسلامى فى القدس

استقبلت مدينة القدس فى الأسبوع الأخير من شهر ربيع الأول الماضى وفود الأقطار الإسلامية لعقد مؤتمر ينظر فى القضية الفلسطينية على ضوء الأحداث التى وقعت إلى الآن ، وما ينبغى أن يكون موقف العالم الإسلامى منها . وفى صباح يوم الخميس ٢٦ من ربيع الأول الذى افتتح فيه هذا المؤتمر نشرت « الأهرام » البيان الآتى من حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر قال :

ينعقد المؤتمر الإسلامى فى القدس اليوم للنظر فى موقف المسلمين من أعظم كارثة ارتكبتها الإنسانية فى هذا العصر ، وهى إخراج أمة من بيوتها وحقولها ووطنها ، وإلقاؤها بنسائها وشيوخها وأطفالها فى خارج الحدود ، لتحل فى محلها أمة أخرى غريبة عن البلاد .

وإذا كان المهيمنون على القوة البشرية قد ارتضوا لأنفسهم أن يقفوا موقف المتفرج بل موقف المؤيد لهذه الفاجعة ، وما سيتلوها من بغى على الأماكن المقدسة ، وتهييج للعدوان على جهات أخرى - فإن هنالك خمسمائة مليون مسلم عاصروا مراحل هذا الحادث الإنسانى العجيب ، وراقبوه من مرحلة إعلان صك الانتداب على فلسطين ، إلى تنظيم الهجرة اليهودية المتواصلة ، إلى ابتكار فكرة تقسيم فلسطين ، إلى المصارحة بإقامة دولة إسرائيل ، إلى التمتع بسماع أنين الإنسانية والفضائل حزنا على فلك القوانين الشريرة بالضعفاء والمضطهدين من سلالة أصحاب فلسطين وبالكيها من قبل [illegible] إسرائيل بالأمس البعيد

لقد رغبت للاشتراك فى هذا المؤتمر استنكاراً لأبشع بغى وقع فى تاريخ الإنسانية حالت الظروف بينى وبين أن أكون بين من اشتركوا فيه

ولكن قلبى وقلوب خمسمائة مليون مسلم تضطرب باشمئزاز وتسخط غضباً على التمكين بالأرياء جهرة على سمع القوة وبصرها ، وإن

مكتبتنا العربية

وكل مسلم على وجه الأرض مشتركون فى كل ما يقرره المؤتمر الإسلامى فى القدس لإزالة هذه السبة عن الإنسانية التى وقعت كارثة فلسطين تحت سمعها وبصرها .

إن هذا بغى ، والبغى مصرعه وخيم ، وعلى الباغى تدور الدوائر ، وإن الله لبالمرصاد للظالمين .

وإنى لأهيب بالمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أن يجودوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل إنقاذ المشردين الجائعين من أهل فلسطين ، فإن فى إنقاذهم محواً لعار يهدد كيان البشرية بأسرها . وإنقاذاً لكرامة المسلمين أمام العالم . والله يوفقنا ويهدينا سواء السبيل .

أنيس

استطاع البنكباشى بعاش عبد الناصر فى مهمة له أن يسرق حقيبة المؤتمر السياسى بموضوع وثيقة . وإليك ما قال :

إن ما يزعمه العالم الحر من مساعدة الشعوب الصغيرة ليس إلا أضغاثاً لتخدير هذه الشعوب كى تنام ، ويظل هذا العالم الحر مسيطراً عليها .

إنهم يعتبروننا أسواقاً لترويج منتجاتهم ، وإنهم ينهبون أرزاقنا ويسرقونها ويقدمونها لأهليهم ، ويعطوننا بدلا منها وعوداً كاذبة .

إن ما قيل من أن إمريكا ستمنحنا قروضاً لتنفيذ مشروعاتنا الإنتاجية ، والاجتماعية والثقافية لم يكن إلا خداعا ، وبهتانا . فها نحن بعد أربعة عشر شهراً من قيام الثورة لم نر شيئاً ، ولم نصدق شيئا .

لا بد من الاعتماد على أنفسنا .

إن أمريكا مرتبطة تمام الارتباط بحليفتها انجلترا . وللاثنتين عدو مشترك هو روسيا . وأمريكا لا ترضينا لتغضب إنجلترا .

لا تصدقوا أن أمريكا ستساعدنا ، فإنها وحليفتها انجلترا خطتهما واحدة . .

الخطر على روحانية الصحراء

من اتساع الرخاء المادى

عرضت مجلة (إيكونومست) لموضوع مهم يتعلق بالبترول فى صحارى بلاد العرب ، والروحانية التى كانت تتجلى على تلك الصحارى قبل الثراء الطارىء ، وما يخشى على تلك الروحانية من خطر ينشأ عن اتساع الرخاء المادى الطارىء عليها بسبب استغلال آبار البترول .

ولما وقع نظرنا على ملاحظة هذه المجلة الأجنبية تذكرنا حديث عمرو بن عوف فى

مكتبتنا العربية

صحيح البخارى الذى يرويه عنه المسور بن مخرمة وهو قول رسول الله ﷺ : « والله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكنى أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم ، فتنا فسوها كما تنافسوها ، وهذا الحديث من اعلام النبوة .

والمال فى نفسه ليس خطراً على فرد ولا على جماعة ، ولكن الخطر ينشأ عن وضعه فى غير مواضعه ، وعن استعماله فى المهم دون الأهم ، والاستجابة فيه لوحى الساعة فلا نصغى إلى نداء المستقبل .

انقاذ السودان

كشف الصاغ صلاح سالم عن سر خطير بداع المرة الأولى ، فقد أوضح فى الخطاب الذى ألقاه فى جامعة القاهرة كيف أن الاستعمار البريطانى كان قد أعد خطة لفصل السودان عن مصر قبل انتهاء عام ١٩٥٣ ، قال .

« فى ابريل عام ١٩٥٢ قدم الحاكم العام للسودان الذى كانت له السلطة الأولى مذكرة لمصر تتضمن الملاحظات على دستور الحكم الثنائى . وكانت أهم نقطة فى هذا الدستور تقول : « يحق للسودان أن يقرر مصيره فى عام ١٩٥٣ إذا أراد » . ومعنى ذلك أنه كان من الممكن أن تمضى بريطانيا فى سياستها لفصل السودان عن مصر بأن تقيم دولة مستقلة صورية قبل انتهاء عام ١٩٥٣ . ثم تعقد هذه الدولة معاهدة مع بريطانيا مثل معاهدة ليبيا مثلا ! . . وربما كنا أطلقنا نحن المصريين فى ذلك الوقت على السودان اسم « دولة السودان المزعومة » . وكان ذلك كله قبل حركة الجيش بشهور قليلة . ولذلك حرصنا عندما قمنا بالحركة على أن نتصل بالسودانيين أنفسهم لنتعرف على رغباتهم التى هى رغباتنا . فهم يريدون إجلاء المستعمر كما نريد نحن . وقد واجهنا الحقائق بشجاعة فعرقلنا مناورات ومؤامرات المستعمرين .

أسوان بين أمسها وغدها

خطب السيد رئيس الجمهورية فى أهل أسوان عند زيارته لهم فى الشهر الماضى ، فكان مما قاله لهم :

« كان جهد الحكام فى العهد المنقرض يقف بهم عند المديريات القريبة من القاهرة . أما أنتم فأبعد ما تكونون عنهم . لقد كانت مديرياتكم وعواصمها ومراكزها منفى لا يبعث اليه إلا بكل مغضوب عليه مطرود من رحمة الله ولا يشاركهم مشاق العيش إلا من لفظته الحكومة . مع أن مديرية أسوان هى صلة الوصل بين شقى الوادى ، والشريان الذى يصل الرأس بالجسد . وان هذه المنطقة وما حواليها

مكتبتنا العربية

هى التى شهدت فى الماضى مولد مجد مصر وحضارة مصر ، وهى التى قام بها خزان أسوان واحتملت فى سبيل إقامته - المرة بعد المرة - ما لم تحتمله مديرية أخرى .

وقد كان خزان أسوان - ولا يزال - الجهاز المحكم فى صدر حياتنا ، أعنى النيل العظيم ، وسيكون فى الغد القريب بإذن الله مصدراً لرزق جديد . فسنولد منه الكهرباء فينبثق نورها يضيء ، وتنطلق حرارتها تخلق صناعات كبيرة كصناعة السماد والحديد .

إن التاريخ يعيد نفسه ، فلقد خرجت الحضارة من بلادكم ، وستسام بلادكم فى وضع أساس الصناعة المصرية الفخمة التى تؤمن إيماناً عميقاً بأنها الوسيلة الناجعة للقضاء على الفقر الذى نكابده ، والمرض الذى يفتك بأولادنا فتكا ذريعاً . وعندما تقوم هذه الصناعات الفخمة ستفتح المصانع الكبيرة أبوابها لأولادكم ليتعلموا فيها ولينتجوا مصنوعات تزيد من دخلنا وتعيننا على أن ننشىء ما نحتاج اليه من مدارس ومستشفيات ، ونشق ما يلزمنا من مصارف وطرقات ، ونستصلح ما ينتظر الإصلاح من أراضينا الزراعية ، ونروى ما يحتاج إلى الرى من مناطقنا الصحراوية .

إنى لا أداعبكم بالأمانى إن أنا قلت لكم : إن إسم أسوان سيطير فى الآفاق وسيكون على لسان كل إنسان فى عالم الصناعة » .

الزراعة فى الواحات

وزعت وزارة الزراعة على أهالى الواحات الداخلة والخارجة عشرة آلاف شجرة من الزيتون والموالح والعنب والرمان والمشمش بالمجان ، كما وزعت عليهم أشجاراً خشبية لاستعمالها كسياج لمقاومة سفو الرمال على مزارعهم . وذلك رغبة فى توفير ما يكفى حاجة البلاد من الموالح والفاكهة والتصدير منها .

موقف مصر الاقتصادى

ألقى الدكتور عبد الجليل العمرى وزير المالية والاقتصاد محاضرة فى قاعة بورت موضوعها « ما نريده فى شئوننا الاقتصادية ، ومما قاله فيها :

لاشك أن مستوى المعيشة منخفض فى مصر وهذه حقيقة تحز فى نفوسنا ، ومرجع هذا إلى تزايد عدد السكان . وقد تناول الباحثون هذه الناحية بإسهاب ، وتظهر هذه المشكلة بجلاء بمقارنة الزيادة المطردة فى السكان بالزيادة فى موارد الإنتاج على اختلاف أنواعها من أراض ومصانع ومصادر للقوى المحركة وما إلى ذلك ، وأهم ما يسترعى النظر فى هذا الصدد هو أنه بالرغم من نمو الاستثمار الصناعى فإن عدد المشتغلين بالصناعة فى آخر

مكتبتنا العربية

تعداد سنة ١٩٤٧ لم يتجاوز المليون مقابل ثلاثة أرباع المليون فى سنة ١٩٢٧ ، ولم يزد نصيب الصناعة فى الدخـــل القومى زيادة تذكر ، بينما زاد عدد المشتغلين فى الزراعة من ثلاثة ملايين ونصف مليون فى عام ١٩٢٧ إلى سبعة ملايين ونصف مليون فى عام ١٩٤٧ بينما الأراضى الزراعية تراوحت تقديراتها بين ٥ر٥١ و ٦ ملايين من الافدنة مما أدى إلى ازدحام الريف وتناقص إنتاج العامل وقصور الأراضى المزروعة عن تزويدهم بالغذاء الكافى . ولهذا يجب أن نعمل على زيادة الإنتاج من الرقعة الحالية وهو ما نسعى إليه فى الوقت الحاضر عن طريق التقاوى المنتقاة ، وإبادة الحشرات ، واستعمال الأسمدة العضوية والكيماوية ، والآلات الزراعية ، مع تحسين وسائل الرى والصرف الحالية .

وتقترن بتحسين طرائق الإنتاج زيادة الرقعة المنزرعة ، وهذا هو أساس إحداث زيادة ملحوظة فى الدخل الأهلى تساعد على زيادة طلب الكثرة على مختلف السلع مما يسهل قيام التصنيع وازدهاره .

ونريد فى السنوات القادمة أن يسير استصلاح الأراضى بنسبة تقرب من نسبة زيادة عدد السكان أو تربو عليها .

ولقد خصصت الحكومة اعتمادات كبيرة فى الميزانية الإنتاجية للسنة الحالية والسنوات المقبلة لاستصلاح منطقة تقرب من ربع مليون فدان فى مختلف أنحاء البلاد ، كما أنها تسير بخطوات موفقة لاستكمال أبحاث السد العالى وإعداد وسائل تمويله مما ينتظر معه زيادة المساحة المنزرعة بنحو مليون و ٢٠٠ ألف فدان خلال ١٥ عاما .

ونريد إلى جانب ذلك زيادة الاستثمار الصناعى زيادة مطردة بحيث تستوعب جانبا من الزيادة فى عدد السكان ، فان عدد القادرين على العمل يزداد سنويا بنحو ١٥٠ ألف نسمة ونريد أن يتحول من هؤلاء إلى الصناعة قرابة ٥٠ ألف نسمة .

ويجب أن نسعى أيضا لاستغلال الصناعات الحالية إلى أقصى حد ، لاجتناب استيراد ما يماثل منتجاتها ، كما نريد ألا يقتصر تفكيرنا على الصناعات الضخمة ، وليكن الهدف الذى نسعى إليه هو اقتفاء أثر اليابان فى الاهتمام بالصناعات الصغيرة إلى جانب الصناعات الكبيرة .

مكتبتنا العربية

الحياة النيابية فى مصر

من سنة ١٩٢٤ إلى سنة ١٩٥٢

قال الدكتور محمد حسين هيكل فى شهادته بقضية أحمد عبد الغفار : « وكان عندنا نقص فى الدستور من حيث أننا مركزون كل السلطة فى القاهرة ، والملك كان فى يده السلطة والبرلمان والوزارة . أما الهيئات النيابية فى الأرياف فليس لها سلطة مطلقاً ، والشعب ما فيش فى يده سلطة . فكان بطبيعة الحال يضطر أن يجارى السلطة القائمة . وفى مدة الحياة النيابية من سنة ١٩٢٤ إلى ١٩٥٢ تغيرت فى مصر أكثر من عشرين وزارة ، والمجلس اللى ما يرضيش الملك كان يحس مرة الوزارة اللى ما تعجبش الملك كانت تقال » .

الأزهر يستولى على مبنى

من أوقاف عبد العال

طلب الأزهر إلى وزارة الأوقاف ، تخصيص المبنى الملجأ المنشأ حديثاً من وقف عبد العال مقراً لمديرية القصور الزائدة عن حاجة معهد حسن المبنى .

وقد استجابت الوزارة لهذا الطلب وأحالت أوراق هذه القضية إلى المحكمة الشرعية لتأييد البيت فى الموضوع .

جياد أندونيسيا

أعلن السيد سوكارنو رئيس جمهورية أندونيسيا فى خطبة ألقاها بمدينة (سوراكارتا) أن بلاده ستقف على الحياد بين الكتلتين الشرقية والغربية .

الأحلاق فى ايران

قال الدكتور مصدق رئيس وزارة إيران السابق فى أثناء محاكمته فى طهران : إن إيران كانت مرتعاً للخيانة ، وإن حكومته لم تكن تتخذ أى قرار سرى حتى تعرفه لندن فوراً . وإن الأجانب هم الذين دبروا انقلاب ١٩ أغسطس ١٩٥٣ ، لا الشعب ، ولا الشاه الذى فرض عليه هذا الانقلاب من الدول الأجنبية .

محمد على

يشنق جد الأستاذ سليمان حافظ

صرح السيد سليمان حافظ ، أن محمد على عندما كان يطارد المماليك إلى أقاصى الصعيد ، كان يختار أربعة من زعماء القبائل فى كل بلد ، ويعدمهم بقصد الإرهاب .

وقال السيد سليمان حافظ : إن أحد أجدادى كان من هؤلاء الضحايا فى بلاد النوبة ، وقد شنق فى قلعة ابريم .

مكتبتنا العربية

فهرس

الجزء الرابع — المجلد الخامس والعشرون

صفحة	الموضـــوع	بقـــلم
٣٨٥	يتيم من مصر العتيقة	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٣٩٨	نفحات القرآن : سحر هاروت وماروت . .	« عبد اللطيف السبكي وجماعة كبار العلماء
٤٠٥	السنة : خصومة الأكابر	« طه محمد الساكت المفتش بالأزهر .
٤١٠	مولد رسول ومولد رسالة	صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر . . .
٤١٢	ديوان مجد الاسلام ـ غزوة أحد	الشاعر الكبير الأستاذ أحمد محرم . .
٤٢٦	نظرية الدفاع الهجومى بعد انتصار المسلمين فى بدر	اليوزباشى أركان حرب محمد جمال الدين محفوظ
٤٣٠	العالم فى ظلال المذاهب البشرية	الأستاذ أبو الوفا المراغى . . . . .
٤٣٧	الرباط فى الاسلام	« أحمد الشرباصى . . . . .
٤٤٤	ليس للمرأة شرعا أن تمارس السياسة . .	صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر . . .
٤٤٦	الرق وآثاره فى التشريع الاسلامى . . .	الأستاذ أحمد طه السنوسى . . . . .
٤٥٤	انتكاس الانسانية والحضارة بانتصار شارل مارتل	على عبد الرحمن الفاقى . . . . .
٤٦٣	طغيان الاستعمار وخطر الشيوعية : ماتأخذ من نظم الغرب وما تدع	صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر . . .
٤٦٦	جدد نفسك (شعر)	الأستاذ صابر على رمضان الجوشنى . .
٤٦٧	المعاهدات فى الدول الاسلامية	صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر . . .
٤٧٠	الترجمة العربية لكتاب إيساغوجى (نقد) .	الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريده . .
٤٧٧	فى أصول النشر	الأستاذ أحمد فؤاد الاهوانى . . . .
٤٨٠	لغـويات	« محمد على النجار . . . . .
٤٨٥	نظرة فى شاهد	« طه الزينى . . . . .
٤٨٨	الدخيل وكتب التفسير	« محمد محمد أبو شهبة . . . . .
٤٩٣	الحساب الفلكى	« محمد أبو العلا العفيفى . . . . .
٤٩٨	كنوز بلاد سدوم	« إحسان الفقير . . . . .
٥٠٠	الكتب	قلم التحرير
٥٠١	الأدب والعلوم فى شهر	« «
٥٠٤	العالم الاسلامى فى شهر	« «

مكتبتنا العربية

مجلة الأزهر

تصدر عن مشيخة الأزهر

فى أول كل شهر عربى

سنتها عشرة أعداد

متعهدو المجلة فى الخارج

شركة فرج الله .	
دار الكتب العربية الشرقية لصاحبها	
محمد خوجة	فى تونس
محمد على بقعيقص	« بنى غازى
مصطفى السراج	« طرابلس الغرب
مكتبة المؤيد	« ـ المنامة ـ البحرين
المكتبة العربية والمكتبة الوطنية	« الرياض
وفى السودان من :	
زكى بطليموس	« الخرطوم
غانم محمد	« الدويم
مكتبة دبورة	« العطبرة
مكتبة الصحافة	« بربر